دراسات حول

القراءات الشاذة

إعداد الدكتورة

إلهام يوسف صحصاح

كلية البنات الإسلامية – بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا أحصى ثناءاً عليه كما أثنى سبحانه على نفسه ، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ...

فمما لا شك فيه أن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن العظيم على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ ليكون معجزة قاطعة وحجة واضحة وبرهاناً ساطعاً على صدق رسالته وعموم دعوته . ولقد حوى القرآن المجيد من الحكمة والرشاد ما يصلح للناس معاشهم ويسعدهم فى دنياهم وآخرتهم ، فقد اشتمل هذا الكتاب العظيم على العقائد السليمة والشرائع القويمة والقيم الأصيلة والمبادئ السامية والمقاصد العالية والآداب الجليلة والتوجيهات الحكيمة ، ولذلك نستطيع القول أن آياته التى حوت تلك المقاصد والتعاليم التى لا تعد ولا تحصى هى قادرة على أن تنشئ الفرد الصالح المستقيم وتخلق الجماعة الراشدة الفاضلة وتصنع الأمة القوية الخيرة ، وتجعل المنهج الإلهى هو أساس مسيرتها ودستور حياتها .

ولما كانت هذه حقيقة القرآن الكريم وهذا دوره كان لابد من العناية بتلقيه وحفظه وفهمه واعتباره منهجاً للحياة وأحسن طرق التلقى السماع والمشافهة من الثقة العدل الضابط عن مثله إلى النبى ـ ﷺ ـ الذى تلقاه بدوره عن جبريل ـ عليه السلام ـ عن رب العزة تبارك وتعالى .

وقد كانت تلك هى طريقة السلف الصالح فى تلقى القرآن الكريم والعناية به

فلذلك كان وما زال وسيظل إلى يوم القيامة محفوظاً من كل تحريف وتغيير مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. الحجر/ ٩

ولأن من أنزله وتكفل بحفظه رب العالمين فلن تستطيع المحاولات المتعددة التى يبذلها أعداء الإسلام النيل منه فمهما أعدوا من خطط وأنفقوا من أموال بذلوها فى سبيل القضاء على هذا الدين والنيل من أهله فلن يؤثر ذلك في هذا الدين القويم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾. الأنفال / ٣٦.

وقد تعددت تلك المحاولات فى هذا الشأن وتنوعت منها محاولات تتعلق بالرسول ـ ﷺ ـ كإنكار الرسالة أو الطعن فيها أو الطعن فى أخلاق الرسول ـ ﷺ ـ وتصرفاته وحملات أخرى لا تعد ولا تحصى متعلقة بالقرآن الكريم :-

حملة تتناول أسلوب القرآن بالنقد والتقبيح .

وحملة تتناول القرآن الآية العظمى فتنكرها .

وحملة تتناول قصصه وتزعم أنها أساطير .

وحملة تتناول ما فيه من تشريع وحدود ونظم وتتهم تلك التشريعات بالتعسفية والقسوة .

وحملة تتناول لغته وتزعم أن به أخطاء نحوية وإعرابيه .

وحملة تتناول معانيه وتقول بوجود ارتباك وعدم تناسق فى المعانى. [١]

---

[١] انظر عربية القرآن د/ عبد الصبور شاهين ص ١٥٥ بتصرف يسير .

وحملة تتهمه بأنه غير منسق كنسق الكتب الوضعية فهو غير مقسم لأبواب أو فصول ولا يندرج تحت موضوعات معينه بل هو مزيج من هذا وذاك .

وحملة تقوم بنسبة هذا القرآن العظيم إلى تعليم البشر

وحملة تقوم على الطعن فى القرآن وإدعاء أن به كلمات أعجمية وقد قال سبحانه فى وصفه : ﴿ قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.الزمر /٢٨ .

ومن هذه الحملات الفاشلة اتخاذهم القراءات الشاذة مدخلاً للطعن فى القرآن وبيان أن فيه اختلافاً وتناقضاً وزيادة ونقصاناً ، وقد وجدوا بغيتهم فى بعض الكتب التى ذكرت قراءات منقولة عن بعض الصحابة أمثال عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وعلى بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين .

وهذه القراءات تختلف اختلافاً يسيراً أو كثيراً عن المصاحف التى جمعها عثمان ــ ﷺ ــ وأرسلها إلى الأمصار .

ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود [١] أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ ﴾. كان يقرأها ــ مروا فيه ــ مضوا فيه . البقرة /٢٠.

وما ورد عنه أيضاً أنه كان يقرأ [٢] : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لتصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾.وقراءة الجماعة : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّتُصِيبَنَّ ﴾. الانفال /٢٥ .

ومن ذلك ما ورد عن أبى بن كعب أنه قرأ [٣] : ﴿ الذين يبلغون رسالة الله﴾. بالواحد والقراءة المشهورة : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ ﴾.الأحزاب /٣٩.

---

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٩ .

وغير ذلك من القراءات المنثورة فى كتب التفسير والحديث والنحو والتى يطلق عليها العلماء (القراءات الشاذة) .

فهل هذه القراءات وأشباهها خطراً على الإسلام ، تحقق مآرب أعدائه فى إدعاءاتهم بوجود التناقض والاختلاف فى القرآن الكريم ؟.

أم إنها طريق من طرق إظهار معانى القرآن ومسلك من مسالك تفسيره وتأكيداً للتفسيرات الواردة فى معنى القراءة الصحيحة ؟.

هذا ما سنحاول التعرف عليه فى هذا البحث الوجيز، والمنهج المتبع لهذه الدراسة كما يلى :-

المبحث الأول : نشأة علم القراءات .

المبحث الثانى : ويتضمن تعريف القراءة الصحيحة وبيان شروط قبولها .

المبحث الثالث: القراءات الشاذة وموقف العلماء منها .

المبحث الرابع: المفسرون والقراءات الشاذة .

المبحث الخامس: حقائق بارزة تتعلق بالقراءات الشاذة .

وأسال الله أن يوفقنى ويسدد خطاى وهو الهادى إلى سواء السبيل

د / إلهام يوسف صمصام

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية البنات الإسلامية

أسيوط

المبحث الأول

نشأة علم القراءات

كانت الكتب السماوية السابقة تنزل من باب واحد على حرف واحد وذلك لأن هؤلاء الأنبياء ــ عليهم السلام ــ كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة وكانت رسالتهم خاصة بهؤلاء الأقوام مؤقتة بزمن معين[١] ، ولما كانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات السماوية وكانت عامة تشمل الخلق جميعاً عربيهم وعجميهم وهم بطبيعة الحال يختلفون لساناً ولغات ولهجات فالعرب قبائل شتى لكل قبيلة لغة استمرأت النطق بها ومن العسير تغيرها ، ولما كانت كل قبيلة تتمسك بلهجاتها فنجد أهل نجد من تميم وقيس وأسد ــ مثلاً ــ يميلون على حين كان أهل الحجاز يفضلون الفتح والتميمى يهمز والقرشي لا يهمز ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يترك لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه ذلك إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً فى اللغات ومتصرفاً فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين .[٢]

ولما كان الأمر كذلك وبفضل من الله ورحمة بالأمة الإسلامية لم ينزل هذا القرآن على حرف واحد بل نزل على سبعة أحرف وذلك بعد سؤال أشفق الناس على أمته وأرحمهم بها لربه كما جاء فى الأحاديث الصحيحة ومن ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال قال رسول الله ــ ﷺ ــ (أقرأنى جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده

---

[١] النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج١ ص٢٢ .

[٢] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه ص٣٩ ، ٤٠ بتصرف يسير .

ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف). [١]

ويفهم من هذا الحديث وأشباهه إن القرآن الكريم نزل أول الأمر على حرف واحد ثم رأى الرسول ـ ﷺ ـ تيسيراً على أمته فى القراءة والحفظ أن يسأل ربه أن ينزل القرآن على أكثر من حرف ، وبعد مراجعة بين الرسول ـ ﷺ ـ وجبريل ـ عليه السلام ـ استجاب رب العزة سبحانه وتعالى لرجاء الرسول ـ ﷺ ـ وأنزله على سبعة أحرف .

يقول القرطبى (إنما كانت السعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم فلما كان يشق على كل ذى لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة ، فوسع لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً). [٢]

فالهدف السامى الذى من أجله سأل الرسول ـ ﷺ ـ ربه نزول القرآن على سبعة أحرف هو التيسير على الأمة ورفع المشقة عنها بدليل ما ورد فى الروايات الأخرى من ذكره ـ ﷺ ـ أن فى هذه الأمة الشيخ العجوز والمرأة والذى لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب.[٣]

ولما دخلت قبائل كثيرة في الإسلام وامتزجت في المجتمع ، ولانت ألسنتها بالعربية وأصبحت لغة القرآن هي السائدة حدثت العرضة الأخيرة للقرآن ، وفيها

---

(١) انظر صحيح البخارى بحاشية السندى كتاب فضائل القرآن ج٣ ص٢٢٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها بيان أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ج٦ ص١٠١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١ ص٤٢ ، ٤٣ بتصرف ونسبة للطحاوى

(٣) انظر أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف فى البخارى كتاب فضائل القرآن ومسلم فى باب نزول القرآن على سبعة أحرف .

نسخت بعض الألفاظ وبقى البعض ، وما بقي هو ما تم جمعه في عهد الصحابيين الجليلين أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان ــ رضي الله عنهما ــ وأجزل لهما الثواب

يقول صاحب " مقدمتان فى علوم القرآن " فى بيانه الوجه الثالث من القراءات (إن من القراءات هو ما اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله ــ ﷺ ــ القرآن على جبريل فى كل شهر رمضان وذلك بعدما هاجر إلى المدينة فكان أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ يتلقفون منه حروف كل عرض فمنهم من يقرأ على حرف ومنهم من يقرأ على آخر إلى أن لطف الله عز وجل بهم فجمعهم على آخر العرض أو على ما تأخر فى عرضين حتى لم يقع فى ذلك اختلاف إلا فى أحرف قليلة وألفاظ متقاربة والذى وقع من اختلاف الهجاء فيما أجمعوا عليه فرقها أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ على المصاحف حين انتسخوها لئلا تذهب ولهذه العلة كان اختلاف المصاحف فى حروف معدودة. [١]

ولذلك نجد أن عثمان ــ ﷺ ــ حين جمع المصاحف وأرسل منها نسخاً إلى الأمصار المختلفة أرسل مع كل مصحف من يجيد القراءة بهذا المصحف ، وأبقى عنده واحداً حتى يحسم أى خلاف قد ينشأ بين الصحابة ولما كانت حروف المصاحف العثمانية غير منقوطة ولا مشكولة فقد احتملت القراءات الثابتة فى العرضة الأخيرة والتى تدور جميعها فى فلك ما بقى ولم ينسخ من الأحرف السبعة

هذا ما كان من محاولة الصحابة المستميتة للحفاظ على القرآن الثابت فى العرضة الأخيرة وكذا كان الأمر فى كل عصر من العصور منّ سبحانه وتعالى على هذه الأمة بتسخير أعداد لا يحصون من الحفظة يحفظون هذه القراءات

---

[١] مقدمتان فى علوم القرآن ترجمة أرثر جفرى ص١٧٠ ، ١٧١ بتصرف يسير.

ويعضون عليها بالنواجذ فطابق المحفوظ المسطور[١] يقول د/عبد الله دراز (يجب حفظ القرآن فى الصدور والسطور جميعاً ، إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التى وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد المتواتر . [٢]

مما سبق ذكره نستطيع أن نصل إلى الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولى :

إن الإلزام بقراءة القرآن على حرف واحد كان فى أول العهد بنزول القرآن الكريم

الحقيقة الثانية:

أن الرسول ــ ﷺ ــ سأل ربه أن ينزل القرآن على أكثر من حرف لما فى الحرف الواحد من مشقة فى القراءة ولكون الأمة العربية أمة أمية وهم ينتمون إلى قبائل مختلفة لها لهجات متعددة ، والقرآن قد بلغ الغاية فى الفصاحة ودقة النظم وجمال التعبير.

الحقيقة الثالثة:

أن المقصود الأعظم من إنزال القرآن على سبعة أحرف هو التيسير على أمة محمد ــ ﷺ ــ فى قراءتها للقرآن .

---

[١] الكتاب الموضح فى وجوه القراءات وعللها لابن أبى مريم تحقيق د/ عمر حمدان الكبيسي ج١ ص١٧ ، ١٨ .

[٢] النبأ العظيم ص ١٣ .

الحقيقة الرابعة:

أن المراد بالأحرف السبعة على أرجح الآراء هى سبعة اختلافات فى الكلمة الواحدة [١] وهى :-

١ ــ اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث

نحو قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وعهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾المؤمنون /٨ فهى تقرأ بجمع الأمانة وإفرادها، وقد اشتمل عليها رسم المصحف فقد كتبت هكذا (لأمنتهم) بدون نقط ولا شكل وبألف صغيرة بعد الميم فاحتملت قراءة الإفراد والجمع.

٢ ــ اختلاف تصريف الأفعال من ماضى ومضارع وأمر مثل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا باعِدْ بين أسفارنا ﴾ سبأ/ ١٩قرأت ﴿ رَبُّنَا باعَدَ بين أسفارنا ﴾ [٢]

٣ــ اختلاف وجوه الإعراب كقراءة ﴿ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ ﴾. البقرة/٢٨٢ بفتح الراء وضمها .

٤ــ الاختلاف بالنقص والزيادة وهذا منه ما يوافق الرسم فى بعض المصاحف دون بعضها كقراءة: ﴿ وأعَدَّ لَهُمْ جنَّاتٍ تَجْرِي تَحتَهَا الأنْهارُ ﴾.التوبة/١٠٠ وقرئ فى بعض المصاحف (من تحتها).

ومنه ما يخالف رسم المصحف كقراءة ابن عباس ﴿ وكَانَ رَاءَهُم مَّلِكٌ

---

[١] مناهل العرفان ج١ ص١٤٧ ، ١٤٨ بإيجاز والتبيان فى علوم القرآن للصابونى ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ وانظر المهذب فى القراءات العشر د/ محيسن ص ٢٩ .

[٢] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٧.

يأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾. الكهف/٧٩ بزيادة كلمة (صالحة) [١] فإن هذه القراءة لم تثبت فى المصاحف العثمانية فهى مخالفة لخط المصحف ، وذلك لأن هذه القراءة وما شاكلها نسخت فى العرضة الأخيرة .

٥ ــ الاختلاف بالتقديم والتأخير وهذا منه ما وافق رسم المصحف لكونه غير منقوط ولا مشكول كقراءة ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾.التوبة/١١١ بالبناء للمفعول فى الأول وللفاعل فى الثانى والعكس وهما قراءتان متواترتان، ومنه ما خالف رسم المصحف مثل قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾.النصر /١ فقد قرؤت (إذا جاء فتح الله والنصر).

٦ ــ الاختلاف بالإبدال مثل(فتبينوا) و(فتثبتوا) وهما قراءتان متواترتان وهما موافقتان لرسم المصحف ومنها ما خالف الرسم كقوله﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾. القارعة/٥ ، قرؤت (كالصوف المنفوش).

٧ ــ الاختلاف فى اللهجات بسبب تباينها وهذا النوع منه ما يرافق رسم المصحف مثل قراءة (موسى) قرئ بالإمالة ودونها (والضحى) قرئ بالإمالة ودونها ، ومنه ما يخالف رسم المصحف مثل ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾.يوسف/٣٦ وقرأ ابن مسعود (إنى أرانى أعصر عنبا) والخمر العنب بلغة عمان .

الحقيقة الخامسة:

إن الأمة الإسلامية كانت مخيرة فى القراءة بأى من هذه الأحرف فمن قرأ بإى من هذه الأحرف كانت قراءته صحيحة يؤيد ذلك ما جاء فى الأحاديث

---

[١] انظر المستدرك للحاكم جـ ٢ ص ٢٤٤ وقد تعقب الذهبي هذه الرواية بقوله: فيها هارون بن حاتم واه .

من قوله لأبي بن كعب ــ ﷺ ــ عندما اشتبه عليه الأمر " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا فقد أصابوا" [١] وقوله لعمر بن الخطاب هشام بن حكيم عندما اختلفا فى قراءة سورة الفرقان(هكذا أنزلت)[٢] ولا عجب فى ذلك فهذه الأحرف جميعها منزلة من عند الله تعالى ، وليس لمحمد إلا البلاغ .

الحقيقة السادسة :

أن الحاجة إلى وجود الأحرف السبعة كما ذكرنا كان للتيسير على الأمة ، فقد كان السبب فى نزول الأحرف السبعة صعوبة بعض الألفاظ واللهجات وعدم مقدرة البعض على النطق بها إلا بشق الأنفس فكان التيسير بنزوله على هذه السبعة فلما دخل فى الإسلام جموع غفيرة وتعود لسانهم على لغة القرآن وأضحت تلك الألفاظ مألوفة لديهم استقر القرآن على الوجه الذي ارتضاه رب العالمين لعباده يقول القرطبى قال ابن عبد انبر (فبان بهذا أن تلك السبعة إنما كان فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد). [٣] وقول القرطبي هذا يرجع إلي مذهبه في المراد بالأحرف السبعة فهو يرى أن في العرضة الأخيرة نسخت أحرف وبقت أخرى وهي التي كتب عليها عثمان مصاحفه ، ومن ثم كانت العرضة الأخيرة للقرآن الكريم والتى تم فيها مدارسه القرآن على صورته النهائية وكانت تلك العرضة فى رمضان من نفس السنة التى توفى فيها الرسول ــ ﷺ ــ روى البخارى بسنده عن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت (أقبلت فاطمة ــ

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي باب نزول القرآن على سبعة أحرف جـ ٦ ص ١٠٤ .

(٢) انظر صحيح البخاري بحاشية السندي كتاب فضائل القرآن جـ ٣ ص ٢٢٦ وصحيح مسلم بشرح النووي باب نزول القرآن على سبعة أحرف جـ ٦ ص ٩٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١ ص٤٢ ، ٤٣ بتصرف يسير .

رضى الله عنها ــ تمشى كأن مشيتها مشى النبى ــ ﷺ ــ فقال النبى (مرحباً يا ابنتى ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكت فقلت : لها لم تبكين ؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب إلى الحزن فسألتها عما قال ، فقالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله ــ ﷺ ــ ، فلما قبض النبى ــ ﷺ ــ سألتها فقالت : أسر إلى أن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة ، وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحاقاً بى فبكيت فقال : أما ترضين أن نكونى سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين ؟ فضحكت لذلك . [١]

وهذا الحديث يوضح لنا أن هذه العرضة الأخيرة كانت عرضة للتاريخ لكي يستقر القرآن على ما ثبت فيها ويكتب عليها.

الحقيقة السابعة :

أن فى هذه العرضة الأخيرة نسخت بعض الألفاظ وأثبتت أخرى وكان بعض الصحابة شاهدين لهذه العرضة ومنهم زيد بن ثابت ولذلك جعله عثمان على رأس القائمين بجمع القرآن وهذه الألفاظ الباقية هى ما كتبت فى المصاحف ثم دار القراء والحفاظ فى فلكها فكتبوها وسميت القراءات السبع أو العشر وهناك قراءات أخرى حفظها القراء ولا توافق رسم المصحف وتسمى الشاذة (وجميع هذه الأنواع سواء كانت قراءات سبعية أم عشرية صحيحة أم شاذة هى من القرآن الذى نزل على الرسول ــ ﷺ ــ كما جاء عنه ــ ﷺ ــ " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف " [٢] ولكن ما نسخ فى العرضة الأخيرة هو الشاذ وما بقى هو المتواتر والمشهور)

---

[١] انظر البخارى بحاشية السندى كتاب فضائل القرآن باب كيف كان جبريل يعرض القرآن ج١ ص٢٢٧ وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب جودة ــ ﷺ ــ ج١٥ ص٦٩

[٢] المهذب فى القراءات العشر لابن محيسن ص٢٩ بتصرف وإيجاز .

الحقيقة الثامنة :

أن بعض الصحابة كانت لهم مصاحف خاصة بهم تشتمل على القرآن وغيره كما ورد أن بعض هؤلاء الصحابة كان يثبت بجانب القرآن بعض التفسيرات وكانت مصاحفهم مكتوبة حسب ما أمرهم به الرسول ـ ﷺ ـ في ترتيب القرآن ولكنها غير مرتبة الترتيب الكامل ويذكر صاحب جامع بيان العلم (أن بعض الصحابة أراد كتابة ما سوى القرآن من تفسيرات لبعض ما غمض عليهم فنهاهم الرسول ـ ﷺ ـ عن ذلك وقال (لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه). [1] وإنما كان هذا النهي حتى لا يختلط شئ منه بالقرآن وحتى تتصرف الهمم إلى العناية بكتاب الله . [2]

ولما زال خوف التباس القرآن بغيره دون بعض الصحابة هذه التفسيرات في مصاحفهم .

الحقيقة التاسعة :

أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ لما انتهى من كتابه المصاحف أمر كل من عنده شئ عن القرآن أن يحرقه ، وقد ثبت أن الصحابة نفذوا أمره باستثناء بعض الروايات التي وردت عن ابن مسعود ويفهم منها رفضه لتحريق مصحفه ـ كما سنبينه فيما بعد ـ وقد ورد عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال عندما سمع أمر عثمان بتحريق أو بتخريق المصاحف (لو لم يصنعه هو لصنعته) وروى أبو بكر بن أبي داود بسنده عن مصعب ابن سعد بن أبي وقاص قال : أدركت الناس متوافرين (أي مجتمعين) حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، قال ابن

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد باب التثبت في الحديث ج١٨ ص١٢٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص٦ .

كثير : وهذا إسناد صحيح.[١]

وروى أبو بكر الأنبارى عن سويد بن غفلة قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : يا معشر المسلمين : اتقوا الله وإياكم والغلو فى عثمان وقولكم حراق المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ .[٢]

يقول ابن عطية ما ملخصه (لما كتب عثمان المصاحف استمر الناس على قراءة هذا المصحف المتخير وترك ما خرج عنه مما كان كتب قبل كقراءة عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ (فامضوا إلى ذكر الله) ونحوها سداً للذريعة وتغليباً لمصلحة الجماعة ولذلك أمر عثمان بتحريق ما خالف مصحفه ، فأما ابن مسعود فقد ورد عنه أنه أبى أن يزال مصحفه فترك ولكن أبى العلماء قراءته سداً للذريعة ولأنه روى أنه كتب فيه أشياء على جهة التفسير فظنها الناس من التلاوة فتخلط الأمر فيها ، ولم يسقط عثمان فيما ترك معنى من معانى القرآن لأن المعنى جزء من الشريعة وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة فى الذى أثبت .[٣]

الحقيقة العاشرة :

أن عثمان ـ ﷺ ـ قام بكتابة العديد من المصاحف قيل أربعة أو خمسة أو ستة أو ثمانية (والراجح أنها ستة المكى والشامى والكوفى والبصرى والمدنى العام الذى سيره عثمان من محل نسخه إلى مقره والمدنى الخاص الذى حبسه لنفسه وهو المسمى بالإمام ، وقيل هى ثمانية وقيل خمسة ولعل القول بأن عددها ستة هو أولى الأقوال بالقبول على أن معرفة العدد لا يتعلق به كبير غرض وما يهمنا أن عثمان ـ ﷺ ـ استنسخ عدداً من المصاحف يفى بحاجة الأمة وجمع كلماتها وإطفاء الفتنة

---

(١) ذيل تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٩١ .

(٢) مناهل العرفان للزرقانى ج١ ص٢٠٥ .

(٣) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج١ ص٦٣ بتصرف يسير .

. لأن عثمان قصد بذلك إرسال ما وقع الإجماع عليه الى الأقطار المتعددة وقد تم له ذلك). [١]

ومما يجب علينا علمه أن الحكمة من تعدد المصاحف هو إثبات الاختلافات الواردة في بعض الألفاظ القرآنية مثل ما سبق ذكره في الوجه المختار في المراد من الأحرف السبعة والتى كان من الصعب جمعها في مصحف واحد ولو استطاعوا ذلك لاضطروا إلى كتابة بعضها في الأصل وبعضها في الهامش ، وقد يظن بعض الناس مع مرور الزمن أنها تفسيرات لما في الأصل ولذلك كتب عثمان أكثر من مصحف لاستيعاب الاختلافات في هذه المصاحف وقد ذهب البعض إلى أنه جمع كل الاختلافات في المصحف الإمام الذى أبقاه عنده في المدينة حتى يتسنى له الرد على استفسارات الصحابة عن الاختلافات الواردة بين المصاحف ولذلك سمى إماماً .

الحقيقة الحادية عشرة :

أن عثمان عند جمعه للمصاحف وضع أسساً لا يخرج عنها الصحابة في كتابتهم وهي :

١ ــ عدم كتابة أى شئ إلا بعد التحقق من أنه قرآن وذلك بعرضه على جمع من الصحابة .

٢ ــ عدم كتابة شئ إلا بعد العلم بأنه استقر في العرضة الأخيرة ولم ينسخ .

٣ ــ الاقتصار في الكتابة على ما لم تنسخ تلاوته .

---

(١) شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردها ــ محمد الصادق قمحاوي ص ١٣٠ بتصرف وإيجاز.

٤ ــ إذا اختلف أعضاء اللجنة المكلفة بكتابة المصاحف فى شئ كتبوه بلسان قريش لأن الأعم الأغلب نزل بلسانهم . [١]

وتلك اللجنة كان يرأسها زيد بن ثابت وهو من شهود العرضة الأخيرة للقرآن وكان معه عبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام .

الحقيقة الثانية عشرة :

أن هذه المصاحف التى أمر عثمان بكتابتها أرسلت إلى الأمصار المختلفة وقد أرسل عثمان ــ ﷺ ــ مع كل مصحف قارئ توافق قراءته رسم ذلك المصحف فى الأعم الأغلب فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدنى ، وعبد الله بن السائب مقرئ المكى ، والمغيرة بن شهاب مقرئ الشامى ، وأبو عبد الرحمن السلمى مقرئ الكوفى ، وعامر ابن عبد القيس مقرئ البصري. [٢]

وهذه المصاحف انتشرت فى الأمصار انتشاراً كبيراً فمنذ وصولها إلى الأمصار أقبل المسلمون ينسخونها وقد قاموا بنسخ أعداداً كثيرة منها ، ويكفينا أن نذكر أنه فى موقعة صفين بين على ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ وعندما أشار عمرو بن العاص برفع المصاحف رفع عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف[٣]

مما سبق ذكره يتبين لنا مقدار ما نالت المصاحف العثمانية من عناية فى كتابتها ومن حرص على أن يظل كتاب الله محفوظاً مصوناً من أى تحريف أو تغيير واستطاع عثمان كما قلنا أن يجعل تلك المصاحف محتملة لجميع الوجوه

---

(١) دراسات فى علوم القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص١١٢ بتصرف وإيجاز

(٢) مآدبة الله د/ الحسينى أبو فرحه ص ٢٤٠ .

(٣) مروج الذهب للمسعودى ج٢ ص٢٠ .

الثابتة فى العرضة الأخيرة ، وظلت المصاحف العثمانية بدون نقط ولا شكل حتى أهل عهد عبد الملك بن مروان فأمر بنقط المصحف وشكله فتجرد لذلك الحجاج بن يوسف الثقفى بواسط وجد فيه وزاد تحزيبه وأمر بذلك وهو والي العراق الحسن ويحي بن يعمر ، وألف الحجاج أثر ذلك كتاباً فى القراءات جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق خط المصحف ، وقد أسند الزبيدى فى كتاب الطبقات إلى المبرد أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلى بناءاً على طلب من عمر وقيل من على ، وذكر أيضاً أن ابن سبرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر . [١]

ومع مرور الوقت تجرد أقوام لضبط القراءات أسهروا ليلهم فى ضبطها وانكبوا نهارهم فى نقلها حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم وأنجماً يهتدى بهداهم وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم ، ولم يختلف عليهم إثنان فى صحة روايتهم ودرايتهم ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم وكان المعول فيها عليهم ، ثم إن القراء بعد هؤلاء كثروا وانتشروا فى البلاد وعرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم فكان منهم المتقن للتلاوة المشهورة بالرواية والدراية ومنهم المحصل لوصف واحد ومنهم المحصل لأكثر من واحد . [٢]

ثم اشتهرت عبارات تحمل أعداد القراءات فقيل القراءات السبع والقراءات العشر والقراءات الأربع عشرة .

وأحظى الجميع بالشهرة ونباهة الشأن القراءات السبع وهى القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة المعروفين وهم نافع بن عبد الرحمن المدنى ، وعاصم بن أبى النجود ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن كثير ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعلى الكسائى .

---

(١) انظر مقدمة تفسير القرطبى ج١ ص٦٥ بتصرف واختصار يسير .

(٢) تقريب النشر لابن الجزرى تحقيق إبراهيم عطوه ص ٢٢ .

والقراءات العشر هى السبعة السابقة ويضاف إليها قراءات هؤلاء الثلاثة أبى جعفر يزيد بن القعقاع القارئ ، ويعقوب الحضرمى ، وخلف بن هشام بن ثعلب. [١] وتمام القراءات الأربعة عشر قراءات الحسن البصرى ، وابن محيصن ، ويحيى اليزيدى ، والشنبوذى . [٢]

يقول الزرقانى : وعلم القراءات أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، ثم أهل عهد التدوين للقراءات ولم يكن لهذه السبعة بهذا العنوان وجود أيضاً ، بل كان أول من صنف فى القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستانى ثم أبو جعفر الطبرى وإسماعيل القاضى وقد ذكروا فى القراءات شيئاً كثيراً وعرضوا روايات تربى على أضعاف قراءة هؤلاء السبعة ، ثم اشتهرت قراءات هؤلاء السبعة بعد ذلك على رأس المائتين فى الأمصار المختلفة ومكثت القراءات السبع على هذا الحال دون أن تأخذ مكانها فى التدوين حتى خاتمة القرن الثالث إذ نهض ببغداد ابن مجاهد فجمع قراءات هؤلاء الأئمة السبعة واقتصر عليهم دون غيرهم . [٣]

كما يعد ابن مجاهد أول من أفتى بتحريم القراءة المخالفة للمصاحف كقراءة عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وعلى بن أبى طالب وغيرهم وذلك لأن أصحاب الفتن والراغبين فيها منذ القدم ذهبوا مذاهب شتى لإحداث البلبلة بسبب هذه القراءات والتى كان يقرأ بها قبل جمع عثمان للمصاحف ، ولذلك حكم ابن مجاهد على محمد بن مقسم العطار الذى كان يقرأ بالشواذ بأن يرجع عما كان يفعله .

---

(١) انظر المستنير فى تخريج القراءات المتواترة د/ محمد سالم محيسن ص ٦ ، ٧

(٢) مناهل العرفان ج١ ص٣٨٤ .

(٣) انظر مناهل العرفان ج١ ص٣٤٦ وانظر الإتقان ج١ ص١٠٩ .

والحقيقة أن المسلمين قد تعرضوا فى الفترة من سنة مائتين وإحدى وتسعين للهجرة وحتى عام أربعمائة وتسعون للهجرة ، لفتنة بالغة الخطورة بسبب المصاحف المخالفة لمصحف عثمان وقد نسبوها تارة لعلى بن أبى طالب وأخرى لابن مسعود وثالثة لأبى بن كعب ولذلك رأى أولوا الأمر وجوب محاكمة من يخرج على الإجماع وقد جرت محاكمة مجموعة منهم محمد بن أحمد بن شنبوذ لأنه خالف رواية عثمان وكان يعلم الناس على القراءات المنسوبة لعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب . (١)

****

(١) فى علوم القرآن د/ فؤاد على رضا ص١٤٠ بإيجاز وتصرف .

المبحث الثانى

ضوابط القراءة الصحيحة

وضع العلماء ضوابط دقيقة لمعرفة القراءة الصحيحة وهذه الضوابط هى:-

أولاً: أن تكون القراءة صحيحة الإسناد ، والمراد بصحة الإسناد أن يرويها العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه وتكون مع ذلك مشهورة عن الأئمة غير معدودة عندهم من الغلط أو الشذوذ . [١]

وهل المراد بصحة الإسناد أن تكون القراءة متواترة أم آحادية ؟ خلاف بين العلماء .

يرى الزركشى وجوب التواتر لقبول القراءة حيث يقول (لا خلاف أن كل ماهو من القرآن يجب أن يكون متواتراً فى أصله وأجزائه وكذلك فى محله ووضعه وترتيبه والرأى كذلك عند المحققين من علماء أهل السنة لأن هذا الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه الهادى للخلق إلى الحق المعجز الباقى على صفحات الدهر ، والذى هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم يستحيل ألا يكون متواتراً فى ذلك كله ، إذ الدواعى تتوافر على نقله على وجه التواتر وكيف لا وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾. الحجر /٩.

والحفظ إنما يتحقق بالتواتر والرسول ــ ﷺ ــ أمر بالتبليغ قال تعالى:

---

[١] النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج١ ص٥٣ ، ٥٤ بإيجاز .

﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بلِّغْ ما أُنزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾.المائدة/٦٧ ، والبلاغ العام إنما هو بالتواتر فما لم يتواتر مما نقل آحاداً نقطع بأنه ليس من القرآن[١]

ويفهم من كلام الزركشى السابق أن ما كان متواتراً فقط هو الجدير بأن يطلق عليه أنه قرأن منزل من عند الله تعالى غير منسوخ التلاوة وهذا إنما يكون بثبوته عن طريق رواية جمع عن جمع يمتنع فى العادة تواطئهم على الكذب ، وهذا التواتر ليس فى أصل القرآن فقط بل فى ترتيبه على الهيئة الكائنة الآن ، والمراد بالترتيب ترتيب الآيات والسور وليس الآيات فقط وأنه من أوله إلى آخره انطبقت عليه الشروط الواجب توافرها ليطلق عليه متواتراً ، ثم إن كلامه يقتضى أمراً آخر وهو أن يكون متواتراً فى كل العهود منذ عهد النبى ـ ﷺ ـ وحتى عهد كتابة القراءات فى العهدين الثانى والثالث للهجرة .

وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط فى ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله وليس بشرط فى محله ووضعه وترتيبه بل يكثر فيه نقل الآحاد وهو الذى يقتضيه صنيع الشافعى فى إثبات البسملة فى كل سورة ، هذا هو مذهب الأصوليون ودليلهم .

وعلى هذا يكون دليل هؤلاء على عدم اشتراط التواتر في وضع القرآن وترتيبه ما فعله الشافعي من إثباته للبسملة في كل سور القرآن الكريم .

وقد اعترض عليه الزركشى وبين أن ما استدلوا به يؤكد تواتر جميع القرآن ولولا التواتر لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر ولثبت كثير مما ليس بقرآن يقول (لو لم يشترط التواتر فى المحل لجاز ألا يتواتر كثير من المتكررات الواقعة فى القرآن مثل قوله : ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

[١] البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج٢ ص٢٢٥ بتصرف يسير .

الرحمن/١٣ ، وقولـه : ﴿ ويلٌ يومئذ لّلْمُكَذّبين﴾.المرسلات /١٥ وأما الثانى فلأنـه إذا لم يتـواتر بعض القـرآن بحسب المحل لجاز إثبات ذلك البعض فى الموضـع بنقل الآحاد . (١)

يقول القاضى أبو بكر : ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قـرآن حكما لا علماً بخبر الواحد دون الاستفاضة ، وكره ذلك أهل الحق وامتنعـوا منـه وقال قوم من المتكلمين أنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجـه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صواباً فى اللغة ، وإن لم يثبـت أن النبـى ـ ﷺ ـ قرأها خلاف موجب رأى القياسيين واجتهاد المجتهدين وأبـى ذلـك أهـل الحـق وأنكروه وخطأوا من قال به وصار إليه .. ثم يقول وقد رد الله عنه طعن الطاعنين واختلاف الضالين، وليس المعتبر فى العلم بصحة النقل والقطع على فنونـه بـالآ يخالف فيه مخالف ، وإنما المعتبر فى ذلك مجيئه عن قوم بهم ثبت التواتر وقامـت الحجة سواء اتفق على نقلهم أو اختلف فيـه ، ولهـذا لا يبطـل النقـل إذا ظهـر واستفاض واتفق عليه إذا حدث خلاف فى صحته لم يكن من قبل ، وبـذلك يسـقط اعتراض الملحـدين فـى القرآن وذلك دليل على صـحة نقـل القـرآن وحفظـه وصيانته من التغييـر ونقض مطـاعن الرافضة فيه من دعوى الزيـادة والـنقص وقد قال تعالى : ﴿ إِنّ عَلَيْنَا جمْعهُ وقُرْآنَهُ ﴾.القيامة /١٧ وأجمعت الأمـة علـى أن المراد من قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نزّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ ﴾.حفظه علـى المكلفـين للعمل به وحراسته من وجوه الغلط والتخليط ولذلك وجب القطع على صـحة نقـل مصحف الجماعة وسلامته . (٢)

---

(١) انظر البرهان فى علوم القران ج٢ص١٢٥،١٢٦ بتصرف .

(٢) الإتقان فـى علـوم القـرآن لجـلال الديـن السـيوطى ج١ ص١٠٣ وانظـر البرهان ج٢ ص١٢٦، ١٢٧

وقد خالف الإمام ابن الجزرى رأى من قال بالتواتر فى جميع القـرآن فقال (وقد شرط بعض المتأخرين التواتر فى جميع القرآن ولم يكتف بصحة السند وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وإن ما جاء مجئ الآحاد لا يثبت به قـرآن ، وهـذا مما لا يخفى ما فيه فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الآخـرين وهمـا موافقة رسم المصحف وموافقة العربية (كما سنوضح بعد قليل) إذ يترتب على هذا أن ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبى ـ ﷺ ـ وجب قبولـه وقطـع بكونه قرآناً سواء وافق رسم المصحف والعربية أم خالفهما ، وإذا اشترطنا التـواتر فى كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم .. ثم يقول : ولقد كنت أجنح قبل إنى هذا القول ثم ظهر لـى فسادة.[١]

وعلى رأى ابن الجزرى يدخل غير المتواتر وهو ما ثبت بخبر الآحاد فـى مسمى القرآن وتصح الصلاة به ، ويدخل من باب أولى المشهور وهـو مـا صـح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر.[٢]

ونحن نرجح وجوب التواتر فى جميع القرآن ـ أصله ووضعه وترتيبـه ـ هذا هو الصواب الذى لا نحيد عنه ولا نرضى سواه ، وواقع الأمر يصدق ما ذهبنا إليه فحفاظ القرآن فى عهد الرسول ـ ﷺ ـ قد كثروا ويكفينا لبيان مـدى كثـرتهم وأنهم بلغوا حد التواتر وزيادة أنه فى موقعة بئر معونة على عهد الرسول ـ ﷺ ـ قتل سبعون من حفاظ القرآن وفى حروب الردة وخاصة فى موقعة اليمامـة التـى كانت بين أبى بكر ـ ﷺ ـ ومسيلمة الكذاب قتل سبعون آخرون فهذا يبين لنـا أن

---

(١) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ج١ ص٥٨ بإيجاز .

(٢) الإتقان للسيوطى ج١ ص١٠٢ بتصرف .

عدد الحفاظ قد بلغ حداً كبيراً من الكثرة حتى مع ذهاب هؤلاء الحفاظ ونتذكر هنا أن سبب جمع القرآن على عهد أبى بكر هو توجس أبى بكر وعمر ــ ﷺ ــ ليس بسبب القتلى فى موقعة بئر معونة أو فى حروب الردة وإنما كان السبب توقع استمرار المعارك بين الحق والباطل ومع ذلك الاستمرار تكون المسارعة من هؤلاء الأبطال الحفاظ إلى خوضها ويقتل منهم جموع آخرى فيكون ذلك سبباً فى ضياع التواتر الذى تفرد به القرآن الكريم .. وعلى الرغم من استمرار الحروب على الجبهات المختلفة خاصة جبهتى فارس والروم ــ فقد ذكرت الروايات الموثوق بها أن القرآن كان يدوى كدوى النحل فى خلاياها . هذا فى عصر الخلفاء الراشدين حتى جمع عثمان للمصاحف أما بعد ذلك ومع ازدياد أعداد المسلمين فلا شك فى بقاء هذا التواتر فى الإعصار الأولى وما تلاها .

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التواتر وجد بعد كتابة عثمان للمصاحف أما قبله فلا ولعل حجتهم فى ذلك ما ورد من أحاديث تحصر عدد الحفاظ فى أربعة أو خمسة مثل ما رواه البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : خذوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود وسالم (مولى أبى حذيفة بن اليمان) ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب . [١]

وفى رواية للبخارى عن طريق أنس قال : مات النبى ــ ﷺ ــ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. [٢] وهو أحد أقارب أنس وغير ذلك من الأحاديث التى يفهم منها حصر الحفاظ للقرآن فى ثلاثة

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٨ ص٦٦٣ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب الرسول ــ ﷺ ــ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٨ ص ٦٦٤ كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب الرسول ــ ﷺ ــ .

أو أربعة أو خمسة .

وهذا الحصر كما ذكر ابن حجر وابن كثير والماوردى ليس حصراً حقيقياً بل هو حصر إضافى ، يقول الماوردى : لا يلزم من قول أنس ــ ﷺ ــ أن يكون الواقع كذلك فى نفس الأمر ، لأنه لا يمكن الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم فى البلاد ولا يتم له ذلك إلا إذا كان أنس وغيره من الرواة قد لقوا كل واحد من هؤلاء وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن فى عهد النبى ــ ﷺ ــ وهذا فى غاية البعد . (١)

ويقول ابن حجر (لا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد فى ذلك الوقت شاركهم فى حفظ القرآن بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد منهم بكثير وقد تقدم فى غزوه بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلاً). (٢)

ولعل هؤلاء الذين ذكروا فى الحديث الأول قد ذكروا لإجادتهم للقرآن ولأن الرسول ــ ﷺ ــ كان يحب سماع القرآن منهم كما ورد فى الأحاديث الصحيحة أنه كان يقول لأبى بن كعب أقرأ على القرآن وكذلك كان يقول لابن مسعود ــ ﷺ ــ وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التواتر لو كان شرطاً ما كان هناك فائدة من الشرطين الآخرين ، ونحن نقول إن هذين الشرطين لزيادة التوثيق والتأكيد وليتكون من الثلاثة ما ينطبق تمام الانطباق على القراءات العشر المتواترة وليخرج ما دون ذلك. (٣)

---

(١) مأدبة الله د/ الحسينى أبو فرحه ص ١٩٨ بتصرف وإيجاز .

(٢) فتح البارى ج٨ ص ٦٦٤ .

(٣) غيث النفع للصفاقسى ص١٧ .

ويعد هذا الضابط هو أهم ضوابط القراءة الصحيحة على الإطلاق وذلك لأن القراءة سنة متبعة فلا عبرة بقراءة وافقت العربية أو رسم المصحف ولم يصح سندها فلا بد من اعتبار صحة السند فى كل قراءة حتى نحكم بكونها قرآناً يتلى .

ثانياً : أن توافق رسم أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً .

والمراد بموافقتها لرسم أحد المصاحف أن تكون هذه القراءة ثابتة فى المصاحف ولو فى بعضها دون بعض ، مثال : قراءة ابن كثير : ﴿ أعدّ اللّهُ لَهُمْ جنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾.التوبة/١٠٠ بزيادة (من) وقد قرأت بدونها وهما قراءتان متواترتان ، لكن الزيادة توافق رسم المصحف المكى لأنها ثابتة فيه وحذفها يوافق غير المكى حيث لم تثبت فيه .

والمراد بقولهم (ولو تقديراً) المراد منه كما يقول الزرقانى (أن توافق رسم المصحف ولو موافقة غير صريحة نحو ﴿ مالكِ يوْمِ الدّين ﴾ فإنه رسم فى جميع المصاحف بحذف الألف من (مالك) فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً كما كتب ﴿ مَلِكِ النَّاسِ﴾ الناس/٢ وقراءة الألف تحتمله تقديرا كما كتب ﴿مالك المُلْك ﴾ آل عمران /٢٦ فتكون الألف حذفت اختصاراً.[١]

وأما الموافقة الصريحة فكثيرة نحو قوله تعالى : ﴿ وانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾.البقرة /٢٥٩ فإنها كتبت فى المصحف بدون نقط ولا شكل فيصح أن تقرأ بالزاى أو بالراء (ننشرها) ومثل (تعلمون) بالتاء والياء، و(يغفر لكم) بالياء والنون يقول السيوطى بعد ذكره لهذه الأمثلة وغيرها : وهذا يدل على الفضل العظيم للصحابة فى علم الهجاء خاصة كما يدل على فهم ثاقب فى تحقيق كل علم،

---

[١] مناهل العرفان ج١ ص٣٤٨ .

ولذلك تم تجريد المصحف من النقط والشكل ليحتمل القراءات المختلفة الثابتة عن الرسول ـ ﷺ ـ .[١]

ثالثاً: أن توافق العربية ولو بوجه من وجوه العربية سواء فصيحاً أم أفصح مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله ، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح إذ هذا هو الأصل الأعظم والركن الأقوام ، وهذا هو المذهب المختار عند المحققين فى هذا الضابط ، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أكثر منهم ولم يعتبر إنكارهم لأن أئمة القراء لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.[٢]

وقد أنكر أهل اللغة بعض القراءات ولم يعتد بإنكارهم مثل إنكار سيبويه لقراءة حفص عن عاصم ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾.طه /٦٣ ، وإنكاره لإسكان (بارئكم) وخفض (والأرحام) فى قوله: ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ والأرْحَامَ ﴾.النساء /١ ، وهذا الإنكار لا يعتد به لأنها ثبتت بسند صحيح إلى الرسول ـ ﷺ ـ وكما قلنا من قبل القراءة سنة متبعة فلا يجوز مخالفة المصحف الذى هو إمام ولذلك قال أبو عمرو الدانى فى الرد على إنكار سيبويه إسكان (بارئكم) : الإسكان أصح فى النقل وأكثر فى الأداء.[٣]

---

(١) الإتقان للسيوطى ج١ ص١٠٠ .

(٢) انظر الإتقان ج١ ص١٠٠ بتصرف يسير .

(٣) دراسات فى علوم القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ٩٣ ، ٩٤ بتصرف وإيجاز .

تلك هى الضوابط الثلاثة التى اعتمدها العلماء للحكم بصحة القراءة يقول الكواشى كل ما صح سنده واستقام مع جهة العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبع المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين ، ومتى فقد واحداً من هذه الثلاثة المذكورة فى القراءة فالحكم أنها شاذة ولا يقرأ بشئ من الشواذ ، وإنما يذكر ما يذكر من الشواذ ليكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجحاً .

ويقول مكى بن أبى طالب : وقد اختار الناس بعد ذلك وأكثر اختياراتهم إنما هو فى الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية وموافقة المصحف واجتماع العامة عليه، والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار ، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين ، وربما جعلوا الاعتبار ما اتفق عليه نافع وعاصم فقراءة هذين الإمامين أولى القراءات وأصحها سنداً وأفصحها فى العربية ويتلوها فى الفصاحة خاصة قراءة أبى عمرو والكسائى[١]

وبالنظر فيما سبق ذكره من ضوابط القراءة الصحيحة نخلص إلى بعض الأمور منها : -

أولها: فيما يتعلق بالضابط الأول (صحة السند) فقد سبق أن ذكرنا اختلاف العلماء فيه هل المقصود به التواتر أم لا ورجحنا التواتر ولكن مكى يرى أن المراد بصحة السند اجتماع العامة عليه والمراد بالعامة هم أئمة القراء ولكنه نراه ينقل عن البعض تخصيصهم بأهل المدينة أو أهل الكوفة أو أهل الحرمين أو ما اتفق عليه نافع وعاصم ، والذى نراه أن تخصيص العامة بطائفة

---

[١] البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج١ ص٣٣١ بإيجاز .

معينة أو بأهل مصر معين أو بقارئ معين هو تخصيص بدون دليل فقد يوجد من تصح قراءته ولا يكون من أهل هذه البلدان أو من هؤلاء الأشخاص وتد يوجد فى هذه الأمصار من لا يجيد القراءة أولاً يعتد بقراءته .

ثانيها: فيما يتعلق بالضابط الثانى (موافقة رسم المصحف) وهذا الضابط اختلف فيه العلماء فذهب أكثرهم إلى أن المراد موافقة رسم أى من المصاحف العثمانية ورأى البعض ومنهم الكواشى : أن المراد موافقة خط المصحف الإمام وهو المصحف الذى كتبه عثمان وأبقاه معه فى المدينة فإذا كان هذا المصحف جامعاً لكل الاختلافات الموجودة فى المصاحف الأخرى فقوله صحيح وإن كان مصحفه مثل المصاحف الأخرى حوى بعض الاختلافات فلا نسلم بقوله لعدم احتوائه فى هذه الحالة على جميع الاختلافات فيعد قوله غير صحيح .

ثالثها: فيما يتعلق بالضابط الثالث (موافقة العربية) فقد تباينت الآراء فيه أيضاً فذهب البعض إلى أن مجرد الاستقامة مع العربية يكفى شرطاً لصحة القراءة وذهب آخرون إلى ضرورة أن تكون القراءة موافقة للوجه الفاشى فى اللغة العربية والراجح القول الأول .

وعلى هذا فكل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة فهى القراءة الصحيحة التى يجب قبولها والاعتداد بها سواء كانت مروية عن القراء السبعة أم عن غيرهم من الائمة المقبولين ولذلك يقول أبو شامة (لا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء السبعة ويطلق عليها أنها من القراءات السبعة وأنها.كذلك أنزلت إلا إذا دخلت فى الضوابط السابقة ، وحينئذ فلا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء

ذلك لا يخرجها من الصحة ، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه ، والقراءات المنسوبة إلى كل قارئ من هؤلاء السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه فى قراءاتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم وقل ما نقل عن غيرهم .[١]

وما ذكره أبو شامة هو الصحيح لأن هناك قراءات وردت عن هؤلاء السبعة ، وحكم العلماء بشذوذها لمخالفتها للشروط المذكورة وهناك قراءات وردت عن غير هؤلاء السبعة سواء عن العشرة أو الأربعة عشر أو غيرهم وتوفرت فيها الضوابط السابقة واعتبر العلماء صحتها .

وإنما قلنا ذلك لأن ابن مجاهد عندما حصر القراءات فى السبعة اقتصر على راويين لكل قارئ يقول أبو حيان إن كتاب ابن مجاهد ليس فيه من القراءات المشهورة إلا النذر اليسير فمثلاً أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً واقتصر ابن مجاهد على اليزيدى فقط ، واشتهر عن اليزيدى عشرة أنفس فاقتصر منهم على السوسى والدورى وليس لهما مزية عن غيرهم لأن الجميع مشتركون فى الضبط والإتقان والاشتراك فى الأخذ ، ولعل السبب فى هذا الاقتصار هو نقص العلم وقلة الهمة وهكذا فى باقى القراء .[٢]

يقول السيوطى (فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به كقراءة يعقوب وأبى جعفر وشيبة وغيرهم .[٣]

---

(١) انظر المرشد الوجيز لأبى شامة ج١ ص٢٥ ومناهل العرفان ج١ ص٣٥٢ بإيجاز .

(٢) انظر البحر المحيط لابى حيان ١ ص١٢ .

(٣) الإتقان للسيوطى ج١ ص١٠٦ ، ١٠٧ بإيجاز وتصرف .

المبحث الثالث

القراءة الشاذة وموقف العلماء منها

فى ضوء عرضنا لضوابط أو أركان القراءة الصحيحة نقرر أنه إذا سقط ركن من هذه الأركان أصبحت القراءة شاذة لا يعتد بها فى مجال القراءة ولكن يعتد بها فى مسائل أخرى .

فالقراءة الشاذة هى ما خالفت رسم المصحف العثمانى أو خالفت العربية أو نقلت بسند ضعيف أو شاذ ، وقد يطلق عليها القراءة الضعيفة أو الباطلة سواء كانت مروية عن السبعة أو عمن فوقهم ، هذا هو ما اتفق عليه المحققون من السلف والخلف .

وقد نقل السيوطى عن مكى بن أبى طالب : أن ما روى فى القرآن الكريم على ثلاثة أقسام :-

١ ــ قسم يقرأ به ويكفر جاحده وهو ما نقله الثقات ووافق العربية خط المصحف .

٢ ــ قسم يقبل ولا يقرأ به وهو ما صح نقله عن الآحاد وصح فى العربية وخالف خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لأمرين :-

الأول : مخالفته لما أجمع عليه .

الثانى: أنه لم يؤخذ بإجماع بل بخبر الآحاد ، ولا يثبت قرآن بخبر آحاد وهذا النوع لا يكفر جاحده ولبئس ما صنع إذا جحده ومثال هذا النوع ما ورد أن النبى ﷺ ــ كان يقرأ : ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.التوبة/١٢٨ بفتح الفاء فى

(أنفسكم) وكما ورد أن ابن مسعود[١] قرأ (والذكر والأنثى) بدون ﴿ وما خلق﴾.الليل /٣ .

وقد اختلف العلماء فى جواز القراءة بهذا القسم والأكثرون على المنع لأنها غير متواترة وإن ثبتت بالنقل فهى منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى .

٣ ــ قسم لا يقبل ولا يقرأ به وهو الذى نقله الثقة ولا حجة له فى العربية أو نقله غير ثقة فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف وهذا النوع هو ما يطلق عليه الشاذ وشذوذه يتأتى فى الغالب من ضعف إسناده .[٢]

أين توجد القراءات الشاذة ؟

القراءات الشاذة توجد متناثرة فى كتب التفسير والحديث والنحو والأدب واللغة والتاريخ ، وقد ذكر المفسرون كثيراً من هذا النوع فى كتبهم ومن هذه الكتب البحر المحيط لابى حيان والكشاف لجار الله الزمخشرى والجامع لأحكام القرآن للقرطبى وجامع البيان عن تأويل أى القرآن لأبى جعفر الطبرى وفتح القدير للشوكانى وغيرهم كما ذكرها النحاة فى كتبهم كسيبويه وأبي عبيدة والفراء كما ذكرها ابن الأنبارى وابن أبى داود وابن أشته فى كتبهم المسماة بـ(المصاحف).

وهؤلاء ذكروا القراءات بجميع أقسامها متواترة أو آحادية أو شاذة ، وهناك بعض العلماء صرف جهده لعلم القراءات الشاذة خاصة مثل ابن جنى فى كتابه (المحتسب فى شواذ القرآن) والعكبرى فى كتابه (إعراب شواذ القراءات) وابن

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص ٥٥ كتاب التفسير وقال : هذا حديث حسن صحيح

(٢) انظر الإتقان ج١ ص١٠١ بتصرف وانظر مناهل العرفان ج١ ص٣٩٢ .

خالوية فى كتابه (مختصر فى شواذ القراءات) ومن المتأخرين البنا فـى كتابـه (إتحاف فضلاء البشر) وغير ذلك .

ما مصدر القراءات الشاذة ؟.

للإجابة على هذا السؤال نقول هناك احتمالان :-

الأول : أن بعض الصحابة الذين تلقوا القرآن عن النبى ـ ﷺ ـ أمثال أبـى بـن كعب وعبد الله بن مسعود وعلى ابن أبـى طالـب وغيـرهم كانـت لهـم مصاحف خاصة بهم كتبوها وقت نزول القرآن وكانت هذه المصاحف على الأحرف السبعة غير مرتبة الترتيب النهائى الذى تم فى العرضة الأخيرة ، كما كانت تحوى بعض التفسيرات لبعض ما غمض علـيهم مـن معـانى القرآن فلما قام عثمان بجمع القرآن وكتابـة المصـاحف وأرسـلها إلـى الأمصار المختلفة أمر بتحريق المصاحف فاستجاب له جل الصحابة ما عدا البعض منهم وهم هؤلاء الثلاثة فلم يحرقوا مصاحفهم بل احتفظوا بها ومـع مرور الزمن وظهور القراء فى البلدان خرجت هذه المصاحف من مكامنها، وقرأ بها بعض القراء فانبثت فى ثنايا الكتب حتى وصلت إلينـا .

ويؤيد ذلك ما ذكره النديم فى (الفهرست) حيث نقل عن الفضل بن شـاذان قال : وجدت فى مصحف ابن مسعـود (تأليف سور القرآن) على هذا الترتيـب : البقرة ، النساء ، آل عمران ، المص ، الأنعام ، المائدة ، يونس ، براءة ، النحـل ، هود .. إلخ الترتيب الذى ذكره .. ثم يقول : فذلك مائة سورة وعشر سـور ، قـال ابن شاذان : قال ابن سيرين: وكان ابن مسعود لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ولا فاتحة الكتاب .

وقال محمد بن إسحاق : رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها أنها مصحف ابن

مسعود ، ليس فيها مصحفان متفقان وأكثرها فى رق كثير النسخ ، وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ مائتى سنة فيه فاتحة الكتاب ، يقول ابن إسحاق والفضل بن شاذان أحد الأئمة فى القرآن والروايات فلذلك ذكرنا ما قاله دون ما شاهدناه .[١]

ثم يذكر تحت عنوان (باب ترتيب القرآن فى مصحف أبى بن كعب) ما رواه الفضل ابن شاذان قال : أخبرنا الثقة من أصحابنا قال : كان تأليف السور فى قراءة أبى بن كعب بالبصرة فى قرية يقال لها قرية الأنصار على رأس فرسخين عند محمد بن عبد الملك الأنصارى فقد أخرج إلينا مصحفاً وقال هو مصحف أبى رويناه عن آبائنا فنظرت فيه فاستخرجت أوائل السور وعدد الآى فأوله فاتحة الكتاب ثم البقرة ، ثم النساء ثم آل عمران .. ثم يقول فذلك مائة وست عشرة سورة.[٢]

وما ذكره صاحب الفهرست يفهم منه وجود مصاحف لهؤلاء الصحابة وهذه المصاحف فيها زيادة ونقصان وغير مرتبة كترتيب مصحف عثمان فالمصحف المنسوب لابن مسعود عدد سوره مائة وعشر سور فهو ينقص أربع سور عن مصحف عثمان وقد جاء فى الروايات أن المعوذتين وفاتحة الكتاب غير مثبتة فى مصحف ابن مسعود .

ومصحف أبى بن كعب سوره مائة وست عشرة سورة ففيه سورتان زائدتان هما سورتا الخلع والحفد .

الثانى: أن الصحابة أطاعوا عثمان عندما أمرهم بتحريق المصاحف وعلى هذا تكون هذه القراءات التى أطلق عليها (المصاحف) قد وصلت لنا عن

---

(١) الفهرست للنديم ص ٤١ بإيجاز .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ ، ٤٣ بإيجاز وتصرف .

طريق تلاميذ هؤلاء الصحابة الذين سمعوا القراءات من شيوخهم وانتشروا فى الأمصار ولم تكن قراءاتهم تلك على سبيل المخالفة للمصاحف العثمانية وإنما لبيان الأوجه المختلفة التى كان يقرأ بها القرآن قبل العرضة الأخيرة ثم عنّ لبعض القراء جمع هذه القراءات ونسبها لأصحابها فنتج عن ذلك ما أطلق عليه مصاحف بعض الصحابة كمصحف على وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب .

والمتأمل للرواية التى ذكرها الفضل بن شاذان فيما يتعلق بمصحف أبى يرى صدق ما ذهبنا إليه حيث يقول ان محمد بن عبد الملك الأنصارى أخرج لنا مصحفاً وقال هو مصحف أبى رويناه عن آبائنا .. فهذا يؤكد أنه لم يجده مخطوطاً بخط أبى وإنما كما قلنا هى قراءات حفظها التلاميذ عن شيوخهم ثم كتبوها ونسبوها لهؤلاء الصحابة .

ولذلك فإن الاحتمال الثانى هو الراجح ولا يعكر صفو هذا ما ورد من روايات تصرح بأن ابن مسعود رفض تحريق مصحفه مثل ما أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما[1] عن شقيق بن سلمة قال : خطبنا عبد الله بن مسعود على المنبر فقرأ :﴿ ومن يغْلُلْ يأْتِ بِما غَلَّ يوْم القِيامةِ ﴾.آل عمران /١٦١ ، ثم قال : غلوا مصاحفكم (أى أخفوها حتى لا تحرق).

وقد روى أيضاً عن ابن مسعود أنه قال : (كيف تأمروننى أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت من فى رسول الله ـ ﷺ ـ مثله).

فهذه الروايات وأمثالها على فرض صحتها فهى تدل على أن ابن مسعود

---

(١) انظر مسند أحمد ج١ ص٤١٤ وسنن الترمذى كتاب التفسير تفسير سورة التوبة جـ ٥ ص ١٨٢ وقال هذا حديث حسن صحيح وهو حديث الزهري ولا نعرفه إلا من حديثه .

توقف أول الأمر ثم استجاب بعد ذلك لأوامر عثمان فحرق مصحفه .

يقول الزرقاني (إن عدم دفع ابن مسعود مصحفه ليحرق كان توقفا منه في أول الأمر ثم عاد بعد ذلك واستجاب لعثمان حين بلغه أن رجالاً من أصحاب الرسول ــ ﷺ ــ كرهوا ذلك في مقالته كما ورد ذلك في بعض الروايات .[1]

أما ما ذكره مسلم في صحيحه بسنده إلى علقمه قال قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال : أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله فقلت : نعم أنا قال : فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الاية : ﴿واللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾.الليل /١ ، قال : سمعته يقرأ (والليل اذا يغشى والذكر والأنثى) قال : وأنا والله هكذا سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقرؤها ــ ولكن هؤلاء يريدون ان أقرأ (وما خلق) فلا أتابعهم .

ويعلق الإمام النووي على هذا الحديث بقوله : "هذا القول من أبي الدرداء يفسر على أن ما قرأ به كان قرآناً ثم نسخ ولم يعلم الجميع بالنسخ فقرأ بما هو منسوخ ولذا قال القاضي : ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه المحذوف منه كل منسوخ وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه وكذا ابن مسعود فقد رويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل وما ثبت منه مخالفا لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن وكان لا يعتقد تحريم ذلك وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء وكان رأى عثمان والجماعة منع ذلك لئلا يتطاول الزمان ويظن الناس أنه قرآن ، قال المازري : فعاد الخلاف إلى مسألة فقهية وهي : هل يجوز إلحاق بعض التفاسير في أثناء المصحف ؟ قال ويحتمل ما روى من أبن مسعود للمعوذتين أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن

---

[1] مناهل العرفان - ١ ص٣٩٣ بتصرف .

وكتب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس والله أعلم".[١]

وما ذكره النووى وغيره فى تعليلهم لموقف ابن مسعود وغيره هو الصواب ولو لم يكن كذلك ما اتحدت صفوف الأمة وما اتفقت كلمتها وما تم للمصاحف العثمانية الظفر من كل وجه بإجماع الأمة .

وقد ورد فى المصادر الصحيحة أن الصحابة جميعهم استجابوا لعثمان وحرقوا مصاحفهم حتى مصحف حفصه الذى استعاره عثمان منها لنسخ المصاحف ورده إليها هذا المصحف جاء أن مروان بن الحكم أرسل إلى عبد الله بن عمر ليرسل له المصحف فأرسله إليه فأمر بها مروان فشققت .[٢]

أما ما بقى بعد ذلك من مصاحف أو قراءات مشكوك فيها وذلك لإجماع الأمة على مصاحف عثمان ، أما ما زعموه من وجود مصاحف لأبى بن كعب وابن مسعود وعلى فقد كفانا مؤنة الرد عليهم محمد بن الهيثم بقوله : ليس يعرف لأبى مصحف يخالف مصحف عثمان وما قيل فى ذلك هو خبر آحاد وليس متواترا ومن المعلوم أن التواتر هو الذى يلزم اليقين ، وإنما كانت هذه قراءته قبل العرضة الأخيرة .. ثم يقول وقد ذكر بعض مشايخنا رحمهم الله أنه رأى مصحفاً منسوباً لأبى بن كعب خالف بعض حروفه حروف هذا المصحف ــ مصحف عثمان ــ ولكنا لا نأمن أن يكون ذلك من جهة من يحب الافتخار بالغريب ، فإن هذه بلية قد أضرت بالدين وأخذت بمصالح المسلمين ، وهذا قد يجعل أحدهم يعمد إلى مصحف فيقدم منه سوراً ويؤخر أخرى ويحرف ألفاظاً ، ثم يزعم أنه مصحف على أو أبى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب ما يتعلق بالقراءات ج٦ ص١٠٩ .

(٢) المصاحف لابن أبى داود ص ٢٥ .

أو ابن مسعود وليس غرض البائس من ذلك إلا أن يحمله إلى بعض الملوك فيقول : إن خزانة مثلك يجب ألا تخلو من نسخة من كل مصحف ولا يبالى بما يكون فى ذلك من جناية على الدين وأهله.(١)

ومما يزيد شكوكنا فى صحة نسبة هذه المصاحف لابن مسعود وغيره ما ذكره ابن إسحاق من أنه رأى أكثر من مصحف منسوباً لابن مسعود ليس فيها مصحفان متفقان وقوله أنه رأى مصحفاً منسوباً لابن مسعود به فاتحة الكتاب لأن هذه المصاحف لو كانت نسبتها صحيحة لابن مسعود ما وجد فيها اختلاف بين النسخ ولا يقال إن ابن مسعود كان له أكثر من مصحف مثل عثمان ـ ﷺ ـ لأن التاريخ يكذب ذلك فلم يرد أن ابن مسعود كتب أكثر من مصحف على عهد الرسول ـ ﷺ ـ .

وبذلك نصل إلى حقيقة حتمية وهى أنها مجرد قراءات حفظها التابعون عن الصحابة ثم لما دونت القراءات قام هؤلاء بكتابتها يقول الطبرى (إن عثمان جمع الناس على مصحف واحد فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ورأت فيما فعل من ذلك الرشد والهداية وتركت ما نسخ فى العرضة الأخيرة حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود لصحتها وصحة شئ منها ، ولكن نظراً من الأمة لأنفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالقرآن الموجود بالمصاحف .(٢)

---

(١) انظر مقدمتان فى علوم القرآن ص ٥٦ ومعجم القراءات القرآنية د/ أحمد مختار ، ود/عبد العال سالم ج١ ص٣٨ .

(٢) جامع البيان عن تأويل أى القرآن للطبرى ج١ ص٢٨ بتصريف يسير .

موقف العلماء من القراءات الشاذة .

اتفق العلماء على جواز القراءة بالمتواتر والمشهور من القرآن وما عدا ذلك فلا يقرأ به ولا يصلى به والناظر إلى الأنواع التى تندرج تحت ما يسمى بالقراءة الشاذة يجده عدة أنواع :

الأول: الآحاد : وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده لأن القرآن لا يثبت بخبر الآحاد .

ومثال هذا النوع ما أخرجه الحاكم[١] بسنده إلى عاصم الجحدري عن أبى بكره أن النبى ـ ﷺ ـ كان يقرأ (متكئين على رفارف خضر وعبا قرى حسان) والقراءة المشهورة : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.الرحمن/٧٦ .

ومثاله أيضا ما روى عن أبى هريرة [٢]عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قرأ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّاتِ أَعْيُنٍ ﴾ وقراءة الجماعة ﴿ قرت أعين﴾.السجدة/١٧. وغير ذلك كثير .

الثانى: الشاذ : هو ما لم يصح سنده كقراءة ابن السميفع (فاليوم ننحيك ببدنك) بالحاء المهملة (لتكون لمن خلفك آية) بفتح اللام من (خلفك) وفى هذا النوع ألفت الكتب التى تتحدث عن الشواذ وذلك لأن الحكم بشذوذها تأتى من الضعف فى سندها.

الثالث : الموضوع : وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل أى أنه مختلق مكذوب

---

(١) المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٢٥٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله : " عاصم لم يدرك أبا بكره " .

(٢) المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٢٥٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يعلق عليه الذهبي .

مثل تلك القراءات التى جمعها محمد بن جعفر الخزاعى ونسبها إلى أبى حنيفة مثل قراءة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّه منْ عبَادهِ العُلَمَاءُ ﴾. برفع الهاء من لفظ الجلالة ونصب الهمزة من العلماء .

وهذه القراءة موضوعه وقد راج على أكثر المفسرين فاعتقدوها غير ذلك وتكلفوا توجيهها وهى لا أصل لها وأبو حنيفة برئ منها.[١]

الرابع : المنكر أو الغريب .

الخامس: وهو ما يشبه المدرج من أنواع الحديث وهو ما زيد من القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبى وقاص﴿ ولَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾. النساء/١٢بزيادة (من أم) وقراءة ابن عباس ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ ﴾.البقرة /١٩٨ بزيادة جملة (فى مواسم الحج) وقراءة ابن الزبير ﴿ ولْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يدْعُون إِلَى الخَيْرِ ويأْمُرُون بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْن عَنِ المُنكَرِ﴾.آل عمرانِ /١٠٤ بزيادة : (ويستعينون بالله على ما أصابهم) قال عمر : فما أدرى أكانت قراءة ابن الزبير أم أنها تفسير وجزم ابن الأنبارى بأنها تفسير ، ومثل ما جاء عن الحسن أنه كان يقرأ(وإن منكم إلا واردها : الورود: الدخول) قال ابن الأنبارى : قوله : الورود : الدخول ، تفسير الحسن لمعنى الورود وغلط فيه بعض الرواة فأدخله فى القرآن .[٢]

والتقسيم السابق لأنواع القراءات الشاذة يعتمد فى المقام الأول على اعتبار

---

[١] مناهل العرفان للزرقانى ج١ ص٣٥٣ وما بعدها بإيجاز .

[٢] الإتقان للسيوطى ج١ ص١٠٢ ومناهل العرفان ج١ ص٣٥٧، ٣٥٨ بتصرف .

صحة السند فهو يشبه أنواع الحديث المختلفة .

وبالتدبر فى الأنواع السابقة نسجل عدة ملحوظات :-

أولها : الأنواع السابقة ما عدا الموضوع هى من القرآن المنسوخ بالعرضة الأخيرة، وعلى هذا لا يجوز القراءة بها فى الصلاة ولا غيرها ، وإنما يجوز الاستدلال بها لتوضيح ما غمض من معانى القرآن فهى فى حقيقة الأمر منسوخة التلاوة مثلها مثل ما نسخ تلاوته وبقى حكمه ، وفى رأيى أنها تشبه ما كان يقول عمر عنه أنه قرآن ونسخ وأعنى (الشيخ والشيخة إذا زينا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) فقد قام الرسول برجم الزانية والزانية عملاً بهذه الآية المنسوخة التلاوة . وقد اعتبرها عمر بن الخطاب ــ ﷺ ــ من القرآن المنسوخ التلاوة مع بقاء حكمها فقال: لولا أن الناس يقولون : زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى وقوله هذا يؤكد نسخ تلاوتها ولذلك لو كتبها ولو على حواشى المصحف لظن الناس أنها قرآن متلو ولذلك لم يكتبها ــ ﷺ ــ. (١)

وكذلك الحكم على القراءات الشاذة بأنواعها نسخت تلاوتها وبقى الاستفادة منها من وجوه أخرى منها الاستدلال بها على معنى القراءة المشهورة ومنها أخذ الأحكام منها .

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين (من العلوم التى ينبغى الاعتماد عليها فى دراسة العربية العظمى علم القراءات القرآنية مشهورها وشاذها ، لأن رواياتها أوثق الشواهد على ما كانت عليه الظواهر اللغوية والصرفية فى مختلف الألسنة

---

(١) مقدمتان فى علوم القرآن ترجمة آرثر جفرى ص٨٢ بتصرف .

واللهجات ، بل من الممكن القول أن القراءات الشاذة أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية . [١]

وهذه الأنواع كما قلنا يطلق عليها القراءات الشاذة وشذوذها يتأتى من ضعف سندها وكما نعلم أن ضعف السند لا يعني تماماً أنها لم تصدر عن الرسول ـ ﷺ ـ أو عن الصحابة ولكن يعني أنها وصلت إلينا عن طريق سند رجاله ضعفاء أو مناكير أو أنفرد برواياتها رأو واحد وهذا الضعف في السند يخرجها عن دائرة القراءة المشهورة والمتواترة ، ولكن لا يمنع الاستشهاد بها في إيضاح المعنى من جهة اللغة أو التفسير أو التاريخ أو قد تكون القراءة الشاذة في مستوى المشهورة من حيث الفصاحة ولكن لضعف سندها انزوت ولم تظهر مثل القراءة الصحيحة). [٢]

ثانيها: النوع الرابع وهو الموضوع ، هذا ليس من القرآن بل هو مختلق مكذوب مثله مثل الحديث الموضوع وهذا لا يجوز القراءة به ولا اعتقاد أنه قرآن بل نستطيع القول أن واضعه ارتكب إثما عظيماً بوضعه يوجب عليه التوبة والاستغفار .

ثالثها : النوع الخامس وهو ما يشبه المدرج من الحديث ، وهذا النوع اختلف فيه العلماء فذهب البعض إلى أنه قرآن منسوخ والأكثرون على أنه تفسير وضعه الصحابة أو التابعون لبيان المعنى فألحق به وهذا هو الراجح يقول ابن الجزرى بعد ذكره لهذا النوع (وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ـ ﷺ ـ

---

(١) أثر القراءات القرآنية في علم اللغة الحديث ص ٧ .

(٢) أثر القراءات القرآنية في علم اللغة الحديث ص ٨ .

قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه فى نفس الصحيفة مع القرآن ، وأما من يقول أن بعض الصحابة كان يجيز قراءة القرآن بالمعنى فقد كذب . [١]

حكم القراءة بالشواذ والعمل بها :

علمنا مما سبق قواعد وأركان القراءة الشاذة وأن أى قراءة خالفت أركان القراءة الصحيحة فهى شاذة ولو كانت مروية عن السبعة وقد وردت قراءات بالفعل عن هؤلاء السبعة وحكم العلماء عليها بالشذوذ وها هو د/عبد الصبور شاهين يحاول حصر القراءات الشاذة الواردة عن هؤلاء السبعة فى كتاب واحد هو المحتسب فى شواذ القراءات لابن جنى فيصل بها إلى ما يقارب مائة وثنتان وثلاثون رواية ، وتفصيلها كالآتى:-

١ ــ حمزة بن حبيب الزيات وردت عنه ثلاث روايات .

٢ ــ على بن حمزة الكسائى وردت عنه سبع روايات .

٣ ــ نافع بن أبى نعيم المدنى وردت عنه تسع روايات .

٤ ــ عبد الله بن عامر وردت عنه أثنتا عشرة رواية .

٥ ــ عبد الله بن كثير وردت عنه ست عشرة رواية .

٦ ــ عاصم بن أبى النجود وردت عنه خمس وعشرون رواية .

٧ ــ أبو عمرو بن العلاء وردت عنه ستون رواية . [٢]

---

(١) انظر النشر فى القراءات العشر ج١ ص٨٨ والإتقان ج١ص١٠٢ .

(٢) انظر تاريخ القرآن د/عبد الصبور شاهين ص١١ ، ومعجم القراءات القرآنية ج١ ص١١٢ .

وسنذكر بعض الأمثلة لما ورد عن هؤلاء من شواذ:-

أ ــ قرأ ابن كثير (إنها لاحدى الكبر) المدثر بحذف همزة (لا حدى) والأصل وجود الهمزة والسبب فى شذوذ هذه القراءة عدم شهرتها .

ب ــ قرأ ابن كثير أيضاً (ثم فصلت) هود / ١ بفتح الفاء والصاد مخففة ، وسبب شذوذها عدم شهرتها .

ج ــ قرأ ابن عامر (درست) الأنعام /١٠٥ بالبناء للمفعول أى ترددت الآيات على أسماعهم حتى بليت وقدمت فى نفوسهم وانمحت . [١]

وعلى الرغم من وجود هذه القراءات الشاذة فى كتب هؤلاء إلا أنها لا تقلل من قيمة مصاحفهم ، ثم إنها قليلة إذا ما قورنت بما نسب لغيرهم ، وهذا يرجع فى حقيقته إلى اقتصار ابن مجاهد على راويين لكل واحد من هؤلاء السبعة وقد روى عنهم الكثير كما ذكرنا فاعتبرت القراءات التى تأتى عن غير هذين الراويين من شواذ السبعة .

هل تجوز القراءة بالشواذ ؟.

فصل العلماء القول فى حكم القراءة بالشواذ فقرر شيخ الشافعية وجوب اشتراط التواتر فى المقروء به وقال : يشترط أن يكون المقروء به على تواتر نقله عن رسول الله ــ ﷺ ــ قرآناً واستفاض نقله بذلك وتلقته الأمة بالقبول، كهذه القراءات السبع ، لأن المعتبر فى ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد فى الأصول ، فما لم يوجد فيه ذلك ما عدا العشرة فممنوع القراءة به ، منع تحريم لا منع كراهة ، فى الصلاة وخارجها ، وممنوع منه من عرف المصادر والمعانى

---

(١) فى رحاب القرآن الكريم د/ محمد سالم محيسن ص٢٢٧ .

ومن لم يعرف ذلك ، وواجب على من قدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك .. ثم يقول ، وأما القراءة بالمعنى على تجويزه دون غير أن ينقل قرآناً فليس ذلك من القراءة الشاذة أصلاً ، والمتجرئ على ذلك متجرئ على عظيم وضال ضلالاً بعيداً ، فيعزر ويمنع بالحبس ونحوه ، ويجب منع القارئ بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه وإن لم يمتنع فعليه التفسير بشروطه . (١)

ويقول السيوطى (ولا يقرأ فى الصلاة إلا بالمتواتر دون الآحاد والشاذ ومما يدل على هذا التقسيم أن الأصحاب تكلموا على القراءة الشاذة فقالوا إن جرت مجرى التفسير عمل بها ، وإن لم يكن كذلك فإن عارضها خبر مرفوع قدم عليها أو قياس ففى العمل بها قولان ، فأنزلوا قراءة الصحابة منزلة خبر الواحد. (٢)

وقال شيخ المالكية : لا يجوز القراءة بالشواذ فى الصلاة ولا فى غيرها ، عالماً بالعربية كان أو جاهلاً ، وإذا قرأها قارئ ، فإن كان جاهلاً بالتحريم عرف به وأمر بتركها وإن كان عالماً أدب بشرطه ، وإن أصر على ذلك أدب على الإصرار ، وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك ، وأما تبديل (آتينا) بأعطينا و(سولت) زينت ، ونحوه فليس هذا من الشذاذ وهو أشد تحريماً والتأديب عليه أبلغ ، والمنع منه أوجب . (٣)

ونقل الصفاقسى عن النويرى المالكى : أن من قرأ بالشواذ غير معتقد أنه قرآن أو موهم أحداً بذلك بل لما فيها من الأحكام الشرعيه عند من يحتج بها أو الأدبية فلا كلام فى جواز القراءة بها ، وعلى هذا يحمل حال من قرأ بها من

---

(١) البرهان للزركشى ج١ ص٣٣١ ، ٣٣٢ بتصرف .

(٢) التحبير فى علم التفسير للسيوطى ص ١٣٠ .

(٣) البرهان للزركشى ج١ ص٣٣٣ .

المتقدمين ، وكذلك أيضاً يجوز تدوينها في الكتب والتكلم على ما فيها ، وإن قرأ باعتقاد قرآنيتها وبإيهام قرآنيتها حرم ذلك ، ونقل ابن عبد البر في تمهيده إجماع المسلمين على ذلك .أ هـ . [١]

وقد جاء عن الإمام مالك أنه قال : من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود أو غيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يصل وراءه ، وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوماً شذوا لا يعرج عليهم . [٢]

وقد اتفق علماء بغداد على تأديب ابن شنبوذ وهو محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ وكان يقرأ بقراءات كثيرة تخالف رسم المصحف العثماني مثل (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فأمضوا إلى ذكر الله) [٣] بدل (فاسعوا) الجمعة/٩ وقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً) بزيادة (صالحة) وقرأ (كالصوف المنفوش) [٤] وقراءة الجماعة (كالعهن المنفوش). القارعة/٥ وقرأ (تبت يدا أبى لهب وقد تب) إلى غير ذلك مما يخالف رسم المصحف العثماني ، وقد اعترف بذلك كله ثم استتيب ، وأخذ خطه بالتوبة فكتب : يقول محمد بن أحمد بن شنبوذ قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه ، والذى أتفق أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ على قراءته ثم بأن لى أن ذلك خطأ وأنا منه تائب وعنه مقلع ، وإلى الله جل اسمه منه برئ إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذى لا يجوز خلافه ولا يقرأ غيره. [٥]

---

(١) غيث النفع للصفاقسى ص٧ .

(٢) مناهل العرفان ج١ ص٣٨٧ .

(٣) مختصر ابن خالويه ص ١٥٦.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٥) الفهرست للنديم ص ٥٠ .

مما ذكرناه آنفاً يتضح لنا عدم جواز القراءة بالشواذ فى الصلاة ولا فى خارجها ، أما حكم العمل بها فقد اختلف فيه الفقهاء فنقل إمام الحرمين عن ظاهر مذهب الشافعى أنه لا يجوز وتبعه أبو نصر القشيرى وجزم به ابن الحاجب ، لأنه نقله على أنه قرآن ولم يثبت .

وذكر غيرهم جواز العمل بها تنزيلاً لها منزلة خبر الأحاد ، واحتجوا بقطع يمين السارق عملاً بقراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) وعليه أبو حنيفة أيضاً واحتج على وجوب التتابع فى صوم كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود (متتابعات) ولم يحتج به الشافعية لثبوت نسخها . [١]

والراجح من وجهه نظرى جواز العمل بها تنزيلاً لها منزلة أحاديث الآحاد ولأن هذه القراءات كانت قرآناً بتلى ثم نسخت ولم يثبت لنا بدليل قاطع أنها منسوخة الحكم ولذا نرى جواز العمل بها حتى يثبت لنا خلاف ذلك ، والسيوطى ــ رحمه الله ــ على الرغم من كونه شافعى المذهب ذكر أن من فوائد اختلاف القراءات استنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ وقال هناك قراءات بينت ما أجمل فى القراءة الأخرى واستدل بقراءة (فامضوا) بدل (فاسعوا) وقال إن القراءة الشاذة بيّنت أن المراد بالسعى الذهاب بوقار لا المشى السريع ، ونقل عن أبو عبيدة قوله : المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة الصحيحة وتبين معناها كقراءة عائشة وحفصة ــ ﷺ ــ (والصلاة الوسطى صلاة العصر) وقراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) وقراءة جابر (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم) قال فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين فى التفسير فيستحسن ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم

---

[١] الإتقان للسيوطى ج١ ص١٠٨ ، ١٠٩ .

صار فى نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل .[١]

فالقراءة الشاذة توضح المراد من القراءة المشهورة ويستنبط منها أدلة متنوعة وهذا العلم من العلوم التى لا يعرف العامة فضله وإنما يعرفه العلماء ولذلك يعتبر بها فى معرفة أوجه القرآن .

يقول الزركشى ما ملخصه (إن القراءات يبين بعضها بعضاً وقد يكون المعنى غامضاً ثم يظهر بمعرفة القراءة الأخرى وذلك كقراءة (يَقُصُّ الحَقَّ) الأنعام/٥٧، فلما وجدتها فى قراءة عبد الله (يقضى الحق) علمت إنما هى (يقضى) فقرأتها على ما فى المصحف واعتبرت صحتها بتلك القراءة، وكذلك قراءة من قرأ ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّن الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾.النمل /٨٢ ثم لما وجدتها فى قراءة أبى (تنبئهم) علمت أن وجه القراءة تكلمهم وفى أشباه هذا كثير.[٢]

****

---

(١) انظر الإتقان للسيوطى ج١ ص١٠٨ بتصرف يسير .

(٢) البرهان فى علوم القرآن ج١ ص٣٣٨ .

المبحث الرابع

المفسرون والقراءات الشاذة

وجهت كثير من كتب التفسير عنايتها لإظهار دور القراءة الشاذة فى تفسير آى القرآن وقارنت بين مفهوم القراءة الصحيحة ووجه الدلالة من القراءة الشاذة على هذا المفهوم وكان لكتب التفسير بالمأثور دور مهم فى هذا الشأن فاعتنت بتوجيه القراءات الشاذة وبعضها جنح إلى إظهار ما فى القراءات الشاذة من معانى زائدة على الموجودة فى القراءة المشهورة ، وقد قال السيوطى : إن توجيه القراءة الشاذة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة ، وقد يستبشع الشاذ بادئ الرأى فيدفعه التأويل كقراءة ابن عباس (وأيقن أنه الفراق) قال : ذهب الظن قال أبو الفتح : يريد أنه ذهب الوقت الذى يصلح للشك وجاء الوقت المصرح باليقين فيكون معنى: وظنّ أنّه الفراقُ ﴿القيامة /٢٨ ، المراد به اليقين وقد وضحت ذلك المعنى قراءة ابن عباس . (١)

وسأعرض الآن لبعض كتب التفسير التى اهتمت بشأن القراءات الشاذة وذلك من الأقدم إلى الأحداث وهى على النحو التالى :-

١ ــ جامع البيان عن تأويل آى القرآن لأبى جعفر الطبرى المتوفى سنة عشر وثلاثمائة للهجرة وكان الطبرى ــ رحمه الله ــ يعنى بذكر القراءات عموداً وينزلها على المعانى المختلفة ويرجح بينها وغالب أمره كان يقوم بترجيح القراءة الصحيحة ، ويعود السبب فى عنايته بالقراءات وتوجيهها إلى كونه من علماء القراءات المشهورين حتى قيل عنه إنه ألف مؤلفاً

---

(١) انظر الإتقان ج١ ص١٠٩ .

خاصاً فى ثمانية عشر مجلداً ذكر فيه جميع القراءات مشهورها وشـــاذها ، وعلل ذلك وشرحه واختار منها القراءة المشهورة . [١]

٢ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجـــوه التأويـــل لجـــار الله الزمخشرى المتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة ، والزمخشـــرى اعتنى بذكر القراءات فى كتابه سواء كانت تلك القراءات مشهورة أم شـــاذة ووجهها فى بعض الأحيان . [٢]

٣ ــ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد ابن غالب بـــن عطيـــة الأندلسى المتوفى سنة ست وأربعين وخمسمائة للهجرة ، وقد اعتنـــى ابـــن عطية بالقراءات عناية بالغة فهو فى كثير من الأحيان يحـــتكم إلـــى اللغـــة العربية عندما يوجه بعض المعانى وهو كثير الاهتمام بالصـــناعة النحويـــة ويتعرض كثيراً للقراءات وينزل عليها المعانى المختلفة . [٣]

٤ ــ الجامع لأحكام القرآن لإبى عبد الله القرطبى المالكى المتـــوفى ســـنة إحـــدى وسبعين وستمائة من الهجرة ، وهذا الكتاب كما وصفه ابن فرحون من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً ، أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبـــت عوضـــها أحكام القرآن واستنباط الأدلـــة ، وذكـــر القـــراءات والإعـــراب والناســـخ

---

(١) انظر ترجمته فى معجم الأدباء ج١٨ ص٤٥ وكشف الظنون ج١ ص٤٣٧

(٢) انظر ترجمتـــه فـــى وفيات الأعيـــان لابن خلكان ج٢ ص٥٠٩ ما بعدها وشذرات الذهـــب ج٤ ص١٢١ رطبقات المفسرين للسيوطى ص٤١ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ج٢ ص١٤٧٥.

(٣) انظر ترجمته فى الديباج المذهب فى أعيان المذهب لابن فرحون ص ١٧٤ ، وبغية الوعاة للسيوطى ص٢٩٥ . والتفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبى ج١ ص٢٣.

والمنسوخ . [١]

والمطالع لهذا التفسير يجده أهتم اهتماماً بالغاً بالقراءات الشاذة وتوجيهها والترجيح بينها ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التى عنيت بهذا الشأن كما سنرى فى التطبيقات التى سنعرض لها فى الصفحات التالية .

٥ ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى المتوفى سنة خمس وثمانين وستمائة للهجرة وقد اهتم البيضاوى فى تفسيره بعرض القراءات صحيحها وشاذها ، وهو يوجه القراءة الشاذة ويعرض للصناعة النحوية . [٢]

٦ ــ البحر المحيط لإبى حيان الأندلسى المتوفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة وقد عنى أبو حيان عناية كبيرة بالقراءات الشاذة وتوجيهها والترجيح بينها . [٣]

٧ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لإبى السعود العمادى المتوفى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة من الهجرة.[٤]

ونحا أبو السعود نحو من سبقوه فى الاهتمام بذكر القراءات المختلفة وعنى بتوجيهها ، ولكن بقدر ما يوضح المعنى وهو لا يتوسع كثيراً فى هذا المجال .

٨ ــ فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى المتوفى خمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة .

---

(١) انظر ترجمته فى الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣١٧ .

(٢) انظر ترجمته فى شذرات الذهب ج٥ ص٣٩٢ ، وطبقات الشافعية ج٥ ص٥٩ وطبقات المفسرين للداودى ص١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج٤ ص٣٠٢ .

(٤) انظر العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم بهامش وفيات الأعيان ج٢ ص٢٨٢

والشوكانى تعرض لذكر القراءات بكثرة وأطنب فى توجيهها خاصة القراءات الشاذة ويرجح بينها ويعطى نفسه حرية واسعة فى الاستنباط منها ؛ لأنه يرى نفسه مجتهداً لا يقل عن المجتهدين . [١]

٩ ــ روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى للألوسى المتوفى سنة سبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة ، والإمام الألوسى يعرض لذكر القراءات ولا يتقيد بذكر المتواتر فقط بل يذكر الشواذ ويبين أوجه الاحتجاج بها لإظهار المعانى . [٢]

تلك هى أهم الكتب التى عنيت بذكر القراءات مشهورها وشاذها ، وفى نظرة متأملة لهذه الكتب نجد أن منها ما يندرج تحت ما يسمى التفسير بالمأثور ومنها ما يندرج تحت التفسير بالرأى ، ومنها القديم كتفسير ابن جرير ومنها المتأخر كتفسير الشوكانى ، وأصحابها تتنوع مذاهبهم فمنهم المنتمى لأهل السنة ومنهم من يميل للاعتزال ومنهم الشيعى المذهب ، ومنهم من يميل إلى التفسير الإشارى . ومؤلفوا هذه الكتب يجمع بينهم أمر واحد هو اهتمامهم بذكر القراءات وتوجيهها على تفاوت منهم فى ذلك .

****

---

(١) التفسير والمفسرون ج٢ ص٢٧٦ .

(٢) التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي ج١ ص٣٣٣ وما بعدها .

منهج المفسرين في تناولهم للقراءات الشاذة

اختلفت طرق المفسرين في تناولهم للقراءات الشاذة وتعددت مناهجهم ، فمنهم المقل ومنهم المكثر ومنهم من يعني بالقراءات الشاذة عناية بالغة ومنهم من يتجاهلها .

ونستطيع حصر مناهج المفسرين في تعاملهم مع القراءات في الأنواع الآتية :

النوع الأول :

أن يقوم المفسر أثناء تفسيره للآية بذكر القراءات الواردة صحيحها وشاذها ثم يرجح معنى القراءة الصحيحة ، وهذا هو الغالب في كتب التفسير .

ومن النماذج التي تندرج تحت هذا النوع :

أولا : قوله تعالى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم ﴾ الفاتحة / ٦ .

قراءة الجمهور (اهدنا) إلا ابن مسعود فإنه قرأ (أرشدنا) [١] وقراءة الجمهور هي الأرجح والأوجه في المعنى ، يقول القرطبي: قوله (أهدنا) دعاء رغبة ورهبة من المربوب إلى الرب ، والمعنى دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك ... ثم يقول وقيل المعنى : أرشدنا باستعمال السنن في آداء فرائضك [٢] .

وإنما قلنا أن القراءة المشهورة هي الأوجه في المعنى لأن الهداية تطلق على عدة معان :

أولا : تأتي الهداية ويراد بها الدلالة كما في قوله ﴿ وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العمى على الهُدَى ﴾ فصلت / ١٧ أي فبينا لهم طريقي الخير والشر فاختاروا طريق الشر وهو الكفر .

ثانيا : وقد تأتي الهداية بمعنى الإعانة والحمل على الخير كما في قوله

---

[١] مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص١ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١ ص ١٤٥ .

﴿ والَّذين اهْتدوْا زادهُمْ هُدًى وآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ محمد/١٧ أي إن الذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها وألهمهم رشدهم [١] .

ثالثا : وقد تأتي بمعنى خلق المشيئة المستلزمة للفعل وهي هداية التوفيق كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي منْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّه يَهْدِي من يَشَاءُ ﴾ القصص/٥٦ [٢] .

يقول ابن كثير [٣] في تفسير الآية : يقول الله تعالى لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنك يا محمد (لا تهدي من أحببت) أي ليس لك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ ولَكِنَّ اللَّه يهْدِي من يشاءُ ﴾ البقرة / ٢٧٢ .

وكل هذه المعاني السابقة محتملة في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فيكون المعنى دلنا على الصراط المستقيم وهو الطريق القويم الذي ارتضاه الله لرسوله وأعنا على الاستمرار فيه وألهمنا التوفيق للبقاء على دين الإسلام ولذلك كان التعبير بـ(أهدنا) أعم لبيان المقصود بخلاف قراءة (أرشدنا) فهي تعني الدلالة على فعل الخير ولذلك فالقراءة المشهورة أعم وأحسن وأصلح لبيان المراد من الآية والله أعلم .

ثانيا : قوله تعالى ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وعَلَى سَمْعِهِمْ وعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوةٌ ولَهُمْ عذَابٌ عظِيمٌ ﴾البقرة/٧.

قراءة الجماعة (غشاوة) بالغين المعجمة وقرأها طاووس (عشاوة) بالعين المهملة وهي من العشاء والعشاء مصدر الأعشى وهو من لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمعنى على هذه القراءة أنهم يبصرون الأشياء إبصار غفلة لا إبصار عبره [٤] .

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٤ ص ١٧٨ .

[٢] شفاء العليل لابن قيم الجوزيه ص١٤٢ وما بعدها بإيجاز .

[٣] تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٣٩٥ .

[٤] الكشاف للزمخشري جـ١ ص ١٦٤ .

والغشاء بالغين المعجمة هو الغطاء على العين والعشاء من عشى إذا قل إدراكه به [١] وقد رجح أبو حيان القراءة الصحيحة فقال (وأصوب هذه القراءات المقروء بها ما عليه السبعة من القراءة بالغين مع كسرها على وزن عمامه) [٢] .

يقول ابن جني في توجيه قراءة الجماعة . أعلم أن الغشاوة على العين كالغشي على القلب كل منهما يركب صاحبه ويتجلله [٣] .

ثالثا : قوله تعالى ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ... ﴾ النساء / ٤٦.

القراءة المشهورة (يحرفون الكلم) وقرأ ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي (يحرفون الكلام) بالجمع .

قال النحاس (والكلم) بالإفراد في هذا أولى لأنهم إنما يحرفون كلم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو يحرفون ما عندهم من التوراة ، وليس يحرفون جميع الكلام [٤] .

وما ذكره النحاس هو الصحيح فواقع اليهود في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشهد بذلك فهم يغيرون الكلم الذي أنزله الله في التوراة من نعت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مواضعه التي وضع عليها وحقيقتها التي كان يجب أن يصرح بها [٥] .

رابعا : قوله تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ الإسراء / ٢٣ . قرأ الجماعة (وقضى) وقرأ عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وابن عباس (ووصى) وقراءة الجماعة (وقضى) والمعنى على القراءة المشهورة: أمر وألزم وأوجب عبادة الله وحده ثم طاعة الوالدين والإحسان إليهما . وقد ورد

---

[١] إعراب القراءات الشواذ للعكبري جـ١ ص ١١٨ .

[٢] البحر المحيط جـ١ ص٤٩ .

[٣] المحتسب في شواذ القراءات لابن جني جـ٢ ص٢٠٤ .

[٤] الجامع لأحكام القرآن جـ٥ ص٢٤٣ .

[٥] تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي ص٧٦ بتصرف .

عن ابن عباس والحسن وقتادة : قالوا ليس هذا قضاء حكم بل قضاء أمر .

أما قراءة (ووصى) فقد نسبت إلى ابن مسعود وأصحابه وأبى بن كعب وابن عباس الذي جاء عنه أنه قال: إنما هي (ووصى ربك) فالتصقت إحدى الواوين بالأخرى فقرئت (وقضى) وعلل قوله ذلك بأنها لو كانت (قضى) ما عصى الله أحد لأن قضاء الله نافذ ، وورد عن الضحاك قال : تصفحت على قوم (وصى بقضى) حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف ، وأيد ميمون بن مهران قول ابن عباس وقال : إن على قول ابن عباس لنوراً ، قال الله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ما وصّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [١] الشورى / ١٣ .

والذي نعتقده أن ابن عباس لم يقل هذا لأنه لو قال ذلك لكان سبباً وجيهاً للقول بتحريف القرآن والطعن في مصحف عثمان الذي أجمعت عليه الأمة ولذلك نفى غير واحد من العلماء نسبة هذا القول لابن عباس وقد ضعف ابن الأنباري كل الروايات الواردة في هذه القراءة وعلى فرض صحة تلك الروايات فهي معارضة للمتواتر القاطع وهو قراءة (وقضى) ومعارض القاطع ساقط .

وهذا جواب آخر يقطع بعدم صحة نسبة هذا القول لابن عباس وهو أنه استعاض عنه أنه قرأ (وفضى) وذلك دليل على أن ما نسب إليه في تلك الروايات من الدسائس الرخيصة التي لفقها أعداء الإسلام ، ولذلك قال أبو حيان : والمتواتر هو (وقضى) وهو المستفيض عن ابن عباس والحسن وقتادة بمعنى أمر ، وقال ابن مسعود وأصحابه بمعنى (وصى) إذن رواية (وقضى) هي التي انعقد الإجماع عليها من ابن عباس وغيره فلا يتعلق بأذيال مثل هذه الرواية إلا ملحد ولا يرفع عقيرته بها إلا عدو من أعداء الإسلام [٢] .

والقضاء يستعمل في اللغة من وجوه .

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١ ص ٢٣٧ .

[٢] مناهل العرفان للزرقاني جـ١ ص ٣٢٧ وانظر المدخل في دراسة القرآن لأبي شهبة ص ٣٣٠.

١ ـ فالقضاء يأتي بمعنى الأمر مثل قوله ﴿ وقَضَى ربُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ﴾ معناه أمر .

٢ ـ والقضاء يأتي بمعنى الخلق كقوله ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمواتٍ فِي يوْمَيْنِ ﴾ فصلت / ١٢ .

٣ ـ والقضاء يأتي بمعنى الحكم كقوله ﴿ فَاقْضِ ما أنْتَ قَاضٍ ﴾ طه / ٧٢

٤ ـ ويأتي بمعنى الفراغ كقوله ﴿ قُضِيَ الأمْرُ الَّذي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ ﴾ يوسف/٤١ ، أي فرغ منه .

٥ ـ ويأتي بمعنى الإرادة كقوله ﴿ وَإذَا قَضى أمْراً فَإنَّما يقُولُ لَهُ كُن فَيكُونُ ﴾ البقرة / ١١٧ .

٦ ـ ويأتي بمعنى العهد كقوله ﴿ وما كُنتَ بِجانبِ الغَرْبِيِّ إذْ قَضَيْنَا إلَى مُوسى الأمْرَ ﴾ القصص / ٤٤ .

فإذا كان القضاء يحتمل كل هذه المعاني فلا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي بقضاء الله لأنه إن أريد به الأمر فلا خلاف إنه لا يجوز ذلك لأن الله تعالى لم يأمر بالفحشاء[١] ، وإنما أمر بالعدل والإحسان ومحاسن الأخلاق كما قال عز وجل ﴿ إنَّ اللَّه يأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحْسانِ وإيتَاءِ ذِي القُرْبى وينْهى عنِ الفَحْشَاءِ والْمنكَرِ والْبغْيِ يعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل / ٩٠ .

يقول أبو شهبة : (ما استندوا إليه من أن اللفظ لو كان " وقضى " لما أشرك أحد غير لازم لمن تدبر وتأمل لأن هذا الاعتراض إنما يتجه لو حملنا القضاء على التقدير الأزلي فأما لو أريد به المعنى اللغوي الذى هو البت والقطع فلا يتحه ولا يرد ، ولذا فسر الجمهور " قضى " بأمر .[٢]

النوع الثاني :

وفيه يقوم المفسر بذكر القراءات الواردة في الآية صحيحها وشاذها ثم

---

[١] الجامع لأحكام القرآن جـ١٠ ص ٢٣٧ بتصرف يسير .

[٢] المدخل لدراسة القرآن لأبي شهبة ص ٣٣١ .

يرجح معنى القراءة الشاذة على المعنى المراد من القراءة المشهورة .

ومن النماذج التي تندرج تحت هذا النوع .

أولا : قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة /٥

القراءة المشهورة (إياك نعبد) بالبناء للمعلوم والمراد إياك نطيع والعبادة الطاعة والتذلل وطريق معبد إذا كان مذللاً للسالكين قال الهروي ، ويعد نطق المكلف بهذا القول إقرارا بالربوبية وتحقيقاً للعبودية [١] .

وقرأ الحسن [٢] وأبو مجلز وأبو المتوكل(إياك يُعَبْدُ) بالياء على ما لم يسم فاعله والوجه فيها كما يقول صاحب البحر إثبات العبادة له سبحانه على الإطلاق والاستحقاق ، وفيها اعتراف من المخاطب أنه سبحانه هو المستحق للعبادة منه ومن غيره ، وعليه فقراءة (يعبد) أعم من المقصود من القراءة الصحيحة [٣] .

وذلك لأن قراءة (يعبد) تقتضي أن يكون سبحانه مستحقاً للعبادة من جميع المخلوقات سواء كان إنسانا أو جنيا أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً ، فوحده سبحانه الجدير بالعبادة من جميع الكائنات في جميع الأوقات وهذا كقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ الرعد / ١٥ فجميع من في السموات والأرض يقع تحت عظمته سبحانه وسلطانه ، والجميع ينقاد له ويخضع لأمره ، وهذا هو المعنى الحقيقي للعبادة وهو المقصود بقوله ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنس إلاّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات / ٥٦ أي ليخضعوا لي ويتذللوا وينقادوا

ثانيا : قوله تعالى ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ...الآية ﴾ البقرة /١٠٢

قراءة الجمهور (وما أنزل على الملَكَين) بفتح اللام والمعنى عليها أنهما

---

[١] المرجع السابق جـ١ ص ١٤٥ .

[٢] إتحاف فضلاء البشر للبنا ص ٣٦٤.

[٣] البحر المحيط لأبي حيان جـ١ ص ٢٣ ، وانظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري جـ١ ص ٩٦ .

ملكان من الملائكة قيل أنهما جبريل وميكال وقيل هما هاروت وماروت وقيل غيرهما .

وقرأ ابن عباس وابن أبزى [١] والضحاك والحسن (الملكين) بكسر اللام والمعنى أنهما ملكان من البشر قال ابن عباس : هما رجلان ساحران كانا ببابل لأن الملائكة لا تعلم الناس السحر ، وقال الحسن هما علجان [٢] ببابل العراق وقال ابن ابزى : هما داود وسليمان على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، وقيل هم شيطانان فعلى قول ابن إبزي تكون (ما) نافية (أي لم ينزل عليهما شيء من ذلك) وعلى سائر الأقوال في القراءة الشاذة تكون (ما) موصولة بمعنى (الذي) ومعنى الإنزال القذف في قلوبهما [٣] .

يقول أبو حيان (وقد ذكر المفسرون في قراءة (الملَكين) بالفتح قصصا كثيرة تتضمن أن الملائكة تعجبت من بني آدم في مخالفتهم ما أمر الله به وأن الله تعالى بكتهم بأن قال لهم اختاروا ملَكين للهبوط إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما الشهوة فحكما بين الناس وافتتنا بامرأة تسمى بالعربية (الزهرة) وبالفارسية (ميدخت) فطلباها فامتنعت إلا أن يعبدا صنما ويشربا الخمر ويقتلا فخافا على أمرهما فعلماها ما تصعد به إلى السماء وما تنزل به فصعدت ونسيت ما تنزل به فمسخت وأنهما تشفعا بإدريس إلى الله تعالى فخيرهما بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا فهما ببابل يعذبان ، وذكروا في كيفية عذابهما اختلافا كبيراً ، وهذا كله لا يصح منه شيء ، والملائكة معصومون ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم / ٦ ، وقال تعالى في صفتهم ﴿ لاَ

---

[١] هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولى خزاعة روى عن عمرو ابن كعب ذكره الداني ، وقال : وردت الرواية عنه في حروف القرآن انظر طبقات القراء جـ١ ص ٣١٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات جـ١ ص ٢٩٣ .

[٢] العلج : الرجل من كفار العجم ، وقيل حمار الوحشي لاستعلاج خلقه وغلظته ، انظر لسان العرب باب "علج" جـ٤ ص٣٠٦٥ .

[٣] الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص ٥٢ .

يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾ الأنبياء / ١٩ . وقال جل شأنه ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ الأنبياء / ٢٠ ، ولم يصح أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يلعن الزهرة ولا ابن عمر[١]

وقد ذكر ابن الجوزي حديث لعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للزهرة . وقال هذا حديث موضوع وما وضعه إلا ملحد يقصد وهن الشريعة بنسبة هذا إلى رسول الله أو مستهين بالدين لا يبالي ما فعل [٢] .

ثالثا : قوله تعالى ﴿ لَقَدْ منّ اللّهُ عَلَى المُؤْمِنِين إِذْ بعثَ فِيهِمْ رسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يتْلُو عَلَيْهِمْ آياته... الآية﴾ آل عمران/١٦

القراءة الصحيحة (من أنفُسهم) بضم الفاء أي عربي مثلهم وقرأ النبي[٣] ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفاطمة ـ رضي الله عنها ـ (من أنفسهم) بفتح الفاء وتأويل هذه القراءة أي من أشرفهم [٤] وهذه القراءة المنسوبة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكرها جمع من المفسرين ووجهوها توجيهاً قويا .

يقول الشوكاني في تفسيره للآية : قوله (من أنفسهم) بضم الفاء أي عربي مثلهم وقيل بشر مثلهم ووجه المنة على المعنى الأول (عربي مثلهم) إنهم يفقهون عنه ويفهمون كلامه ولا يحتاجون إلى ترجمان ، ووجه على الثاني (بشر مثلهم) أنهم يأنسون به بجامع البشرية ولو كان ملكاً لم يحصل كمال الأنس لاختلاف الجنس ، أما قراءة (من أنفسهم) بالفتح فمعناها من أشرفهم لأنه من بني هاشم وبنو هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل من غيرهم ، ووجه الامتنان على هذه القراءة أنه لما كان من أشرفهم كانوا أطوع له وأقرب إلى تصديقه والإيمان به وطاعة أوامره .. ثم يقول . ولابد من تخصيص المؤمنين في هذه الآية بالعرب على الوجه الأول ، وأما على الوجه الثاني فلا حاجة إلى

---

[١] البحر المحيط جـ١ ص ٣٢٩ .

[٢] الموضوعات لابن الجوزي جـ١ ص ١٨٥ .

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ٢٤٠ كتاب التفسير ولم يعلق عليه الذهبي.

[٤] مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص٢٣ .

التخصيص وكذا قراءة الفتح لأن بني هاشم هم أنفس العرب والعجم في شرف الأصل ورفاعة المحتد[١].

ويرجح الآلوسي المعنى على قراءة الفتح فيقول (من أنفسهم) أي من أشرفهم لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اشرف القبائل وبطونها وهو أمر معلوم غني عن البيان ينبغي اعتقاده لكل مؤمن)[٢] .

وما ذكره الألوسي هو الصحيح فشرفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلو نسبه ورفعة نشأته مما لا يحتاج إلى دليل فهو نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها ، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه وهو من أهل مكه أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده وقد جاء عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) [٣] .

رابعا : قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ... الآية ﴾ المائدة / ٣ .

قراءة الجماعة (والنطيحة) وقرأ ابن مسعود وأبو ميسرة (والمنطوحة) وبقراءة ابن مسعود فسر القرطبي وغيره الآية فقال : النطيحة : فعيلة بمعنى مفعوله وهي الشاة التي تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أن تذكى ، وتأول قوم النطيحة بمعنى الناطحة لأن الشاتان قد تتناطحان فتموتان [٤] .

وهنا نلاحظ أن القراءة الشاذة فسرت القراءة الصحيحة لأن المراد من النطيحة هي التي يودي النطح بحياتها فتموت فجأة قبل التذكية فتدخل في المحرمات

---

[١] فتح القدير للشوكاني جـ١ ص٤٩٧ بإيجاز ، وانظر الجامع لأحكام القرآن جـ٤ ص ٢٦٤ .

[٢] روح المعاني جـ٤ ص ١١٣ .

[٣] الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض جـ١ ص٨١ وانظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٥ ص٣٦ كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ـ صلى الله عليه وسلم

[٤] تفسير القرطبي جـ٦ ص ٤٩ .

المذكورة في الآية الكريمة ولذا يقول العكبري : وقرئ (المنطوحة) على الأصل[١]

خامسا : قوله تعالى ﴿ والسّارقُ والسّارقَةُ فَاقْطَعُوا أيْديهُما جزاءً بما كَسبا نكالاً مّن اللّه واللّهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ المائدة / ٣٨ .

القراءة المشهورة (فاقطعوا أيديهما) وقرأ ابن عباس وابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما) .

يقول البيضاوي بعد تفسيره للآية والمراد بالأيدي الأيمان ويؤيده قراءة ابن عباس (فاقطعوا أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله ﴿ إن تَتُوبا إلَى اللّه فَقَدْ صغَتْ قُلُوبُكُما ﴾ التحريم / ٤ ، اكتفاء بتثنية المضاف إليه واليد اسم تمام العضو ، ولذلك ذهب الخوارج إلى أن المقطوع هو المنكب [٢] ، وقال الشافعي وأبو حنيفة والجماهير تقطع اليد من الرسغ وهو المفصل بين الكف والذراع [٣] .

ويقول القرطبي : لا خلاف في أن اليمنى هي التي تقطع أولا [٤] .

سادسا : قوله تعالى ﴿ والشّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العزيزِ العلِيمِ يس / ٣٨ .

قراءة العامة (والشمس تجري لمستقر لها) وقرأ النبي[٥] ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابن مسعود وابن عباس وعكرمة (والشمس تجري لا مستقر لها) .

وقراءة العامة في تفسيرها وجهان :ـ

أحدهما : أن المراد بالمستقر المستقر المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات

---

[١] إعراب القراءات الشواذ جـ١ ص ٤٢٧ .

[٢] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ١٤٩ .

[٣] انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١١ ص ١٨٥ كتاب الحدود باب حد السرقة ونصابها .

[٤] تفسير القرطبي جـ٦ ص ١٧٢ .

[٥] انظر الترمذي كتاب التفسير باب تفسير سورة يس جـ ٥ ص ٢٧٩ وقد قال هذا حديث حسن صحيح .

فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون إلى العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة ، ومنها ما أخرجه البخاري [١] بسنده إلى أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

والقول الثاني : أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها ، وهو يوم القيامة ، حيث يبطل سيرها وتسكن حركتها ، وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني ، قال قتادة : (لمستقر لها) أي لوقتها ، ولأجل لا تعدوه ، وقيل المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها ، ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها ، قاله عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما [٢] .

وقال النسفي في تفسير الآية (والشمس تجري لمستقر لها) أي لحد لها مؤقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرائي عيوننا ، وهو المغرب ، أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا [٣] .

تلك كانت الاحتمالات الواردة في تفسير القراءة الصحيحة ، أما القراءة الشاذة (والشمس تجري لا مستقر لها) فمعناها لا قرار لها ولا سكون ، بل هي سائرة ليلا ونهاراً ، لا تفتر ولا تقف كما قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه بحاشية السندي ـ كتاب تفسير القرآن ـ تفسير سورة يس جـ٣ ص١٨٠ .

[٢] تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٧٣ بتصرف يسير .

[٣] تفسير النسفي جـ٤ ص ٨ .

دائبيْنِ ﴾ إبراهيم/٣٣ أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة [١] .

ويذكر الألوسي قد حاول الجمع بين الآراء المتعارضة[٢] في الآية الكريمة فقال : (والشمس تجري لمستقر لها) قيل المعنى تجري لمستقرها تحت العرش ، فالمستقر اسم مكان ، والظاهر أن للشمس فيه قرارا حقيقة وقد جاء عن الواحدي أنه قال : وعلى هذا القول فإذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ، وقد ساق ابن حجر في فتاويه جملة من الأخبار تتعلق بالموافقة على هذا التفسير ، لكن هذا التفسير لم يقتنع به أئمة آخرون لهم ثقلهم العلمي والديني ولهم مكانتهم بين علماء التفسير والعلوم الإسلامية ، وعلى رأس هؤلاء إمام الحرمين ، فقد ذكر أن لا خلاف في أنها تغرب عند قوم وتطلع على آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين وهناك أماكن تكون فيها السنة نصفها ليل ونصفها نهار ، والأدلة قائمة على أنها لا تسكن عند غروبها ، وإلا لكانت ساكنة عند طلوعها بناء على أن غروبها في أفق ، وطلوعها في أفق آخر ، وأيضا هي قائمة على أنها لا تفارق فلكها ، فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل العرش ؟

وقد وقف الألوسي حائراً في حل هذه المشكلة حتى قال : وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ما سمعت من الأخبار الصحيحة ، وبين ما يقتضي خلالها من العيان والبرهان فلم أوفق لأن افوز بما يروى الغليل ، ويشفى العليل ... يقول د/ عبدالعال مكرم " : رحم الله الألوسي فقد كان النبع منه على ضربة معول فلم يضربها ، وفي رأيي أن الألوسي لو نظر إلى القراءة الأخرى التي تفسر قراءة المصحف ـ والقراءات يفسر بعضها بعضا ـ لما وقع في الحيرة ، فقراءة ابن مسعود وابن عباس (والشمس تجري لا مستقر لها) تنسجم

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٥٧٣ .

[٢] من الدراسات القرآنية ـ د . عبد العال سالم مكرم ص٢٢٤ ، ٢٢٥ بتصرف يسير،وانظر ـ روح المعاني جـ١٦ ص٣٣:٣١.

مع النظريات العلمية التي تؤكد أن الشموس والنجوم والكواكب والأقمار كلها متحركات ، لأنها تدور حول نفسها تارة وحول غيرها تارة أخرى [١] ، وهذا ما نجده في الآية الكريمة حيث يقول رب العزة ﴿ لاَ الشَّمْسُ ينْبغِي لَها أن تُدْرك القَمر ولاَ اللَّيْلُ سابقُ النَّهار وكُلٌّ في فَلَكٍ يسْبحُون﴾ يس / ٤٠ .

ويتواكب ما ذكره د . عبد العال سالم مكرم مع النظريات العلمية التي أثبتت أن الأرض تدور حول نفسها مما ينتج عنه ظاهرة تعاقب الليل والنهار .

والواقع أن المتأمل لجميع القراءات الواردة في الآية يستطيع الجمع بينها ، إذ ليس بينها أدنى تعارض ، ويبقى الحديث الصحيح الذي ذكره البخاري وغيره من استقرار الشمس تحت العرش وسجودها ، وقد أجاب الخطابي عن ذلك بقوله : يحتمل أن يكون المراد باستقرارها أنها تستقر تحت العرش استقراراً لا نحيط به نحن ، كما يحتمل أن يكون المعنى أن مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ، ويبطل فعلها ، وليس في سجودها كل ليلة تحت
العرش ما يعيق دورانها في سيرها [٢] .

وأنا أميل إلى ترجيح الاحتمال الأول وذلك للجمع بين ما ثبت في الحديث الصحيح من سجودها تحت العرش . وبين ما أثبته العلم من حركتها ولذلك فنقول أنها تستقر تحت العرش استقراراً لا نحيط به ، وهذا مثله كثير في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوى إلَى السَّماءِ وهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَها ولِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين ﴾ فصلت / ١١ .

وقوله تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ ومَن فِيهِنَّ وإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولَكِن لاَّ تَفْقَهُون تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ الإسراء/٤٤ .

---

[١] من الدراسات القرآنية د. عبد العال سالم مكرم ــ مرجع سبق ذكره ص ٢٢٥

[٢] انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ــ كتاب التفسير ــ باب تفسير سورة يس جـ٨ ص٤٠٣ .

وقوله جل شأنه ﴿ ويُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ والْملائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَن يَشَاءُ وهُمْ يُجادِلُون في اللّهِ وهُو شَدِيدُ المِحالِ﴾ الرعد/١٣

سابعا: قوله تعالى ﴿ الَّذِين هُمْ عن صلاتِهِمْ ساهُون﴾ الماعون/٥.

قراءة الجماعة (ساهون) وقرأها ابن مسعود (لاهون) .

يقول الزمخشري معنى الآية (ويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أولا يصلونها كما صلاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكما صلاها السلف ولكن ينقرونها نقراً من غير خشوع ولا إخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات ، لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور ، وقد قال أنس ـ رضي الله عنه ـ الحمد لله الذي قال (عن صلاتهم) ولم يقل (في صلاتهم) لأن معنى(عن) أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة إلتفات ، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين . ومعنى (في) أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس ، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقع له السهو في الصلاة ، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم ، وقرأ ابن مسعود (لا هون) [١] .

وأخرج عبد الرزاق وابن مردوية من رواية مصعب ابن سعيد عن أبيه أنه سأله عن هذه الآية قال : أوليس كلنا يفعل ذلك ؟ قال : الساهي هو الذي يصليها لغير وقتها . وقد قال الفراء أن ابن عباس فسرها باللاهون [٢] .

وفي الآية وعيد منه سبحانه وتعالى للذين يأتون بصورة الصلاة في الحركات والألفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها المؤدي إلى غايتها فسماهم مصلين لأنهم أتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن المعنى الحقيقي للصلاة التي هي توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته ،والمشعر للقلوب بعظيم سلطانه

---

[١] الكشاف للزمخشري جـ٤ ص ٢٨٩ بإيجاز يسير .

[٢] الدر المنثور لجلال الدين السيوطي جـ٨ ص ٦٤٣ .

ثم وصفهم ، بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون [١] ، فعلى هذا ليس المقصود السهو في الصلاة فليس السهو فيها خطيئة أو أمراً منكرا، وكل إنسان عرضة لأن يسهو في صلاته فينجبر سهوه في الصلاة بسجود السهو أو بالسنن والنوافل على ما هو مقرر في باب صلاة السهو من أحكام العبادات ويرى الطبري أن المراد لا هون يتغافلون عنها ومن اللهو عنها والتشاغل بغيرها تضييعها أحيانا ، وتضيع وقتها أحياناً أخرى) [٢].

وقد رجح الفخر الرازي أن المراد بالسهو عن الصلاة السهو عن حكمتها ومراعاة الناس بها على الرغم من أن البعض يؤديها في أوقاتها ، ويتظاهرون بالخشوع فيها والإخبات رئاء الناس وقصدا لمتعة دنيوية ، وصلاة الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، لا يمكن أن تصدر عن قلب خاشع وضمير مؤمن وحين لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر فذلك والله أعلم هو السهو عنها ، فتصبح الصلاة مجرد طقوس شكلية ونفاق من المصلين يراءون به الناس [٣] .

النوع الثالث : وفيه يذكر المفسر القراءتين الصحيحة والشاذة ثم يبين استواء القراءتان في المعنى ، ومن أمثلة ذلك .

أولاً قوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ البقرة / ١٩

القراءة المشهورة (الصواعق) وقرأ الحسن (الصواقع) بتقديم القاف على العين والمراد بالصواعق ، الوقعة الشديدة من صوت الرعد معها قطعة من نار تسقط مع صوت الرعد ، والصواعق تتقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه ، وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه وهي مع حدتها سريعة الخمود

---

[١] مشكلات القرآن الكريم للشيخ محمد عبده ص٤٧ ، ٤٨ .

[٢] تفسير الطبري جـ٣٠ ص ٢٠١ .

[٣] التفسير الكبير جـ٣٢ ص٤٩١ ، وانظر الإعجاز البياني للقرآن الكريم د/ بنت الشاطي ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

ويهلك الله بها من يشاء [١] .

وقد قال النقاش : صاعقة وصاقعة بمعنى واحد ، قال أبو عمر والصاقعة لغة بني تميم وبعض بني ربيعة يقول الشاعر :

ألم تر أن المجرمين أصابهم ∴ صواقع لا بل هن فوق الصواقع

وذهب بعض المفسرين أن صواقع مقلوب صواعق ، ورجح صاحب الكشاف عدم القلب لأن كلا البناءين سواء في التصريف ، وإذا استويا كان لكل واحد بناء على حياله [٢] .

يقول صاحب البحر بعد ذكره أقوال الفريقين في الكلمة (إذا كان ذلك لغة وقد حكوا تصريف الكلمة عليه ، لم يكن من باب المقلوب خلافاً لمن ذهب إلى ذلك ونقل القول بالقلب عن جمهور أهل اللغة يقال صعقته وصقعته بمعنى واحد) [٣] .

والراجح أنها ليس بقلب بل مي لغة بني تميم وبني ربيعة وهما بمعنى واحد .

ثانيا: قوله تعالى ﴿ وجعلُوا لِلّهِ شُرَكَاء الجِنّ وخَلَقَهُمْ وخَرَقُوا لَهُ بَنِين وبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لأنعام / ١٠٠ .

قرأ ابن مسعود (وجعلوا لله شركاء من الجن وهو خلقهم) .

والآية تذكر أنواعاً من جهالات الكفار فتبين أن هناك من يعتقد أن لله شركاء من الجن وقوله (الجن) مفعول أول و(شركاء) مفعول ثان مثل قوله وجعلَكُم مُّلُوكاً ﴾ المائدة / ٢٠ وقوله ﴿ وجعلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدوداً﴾ المدثر/١٢ وهو في القرآن كثير والتقدير (وجعلوا لله الجن شركاء) ويجوز أن يكون (الجن) بدل من (شركاء) والمفعول الثاني (لله) ، وأجاز الكسائي رفع (الجن) بمعنى هم الجن (وخلقهم) قراءة الجماعة والمعنى . أي خلق الجاعلين له شركاء ، وقيل خلق الجن الشركاء كما في قراءة ابن مسعود (وهو خلقهم) . بزيادة هو [٤] . فقراءة

---

[١] الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص٢١٩ .

[٢] الزمخشري جـ١ ص٢١٩ .

[٣] البحر المحيط لأبي حيان جـ١ ص٨٤ .

[٤] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٧ ص٢ .

الجمهور تحتمل المعنيين فيجوز أن يكون المراد أن الله خلق هؤلاء الجن المعبودين من دون الله ويجوز أن يكون المعنى أن الله خلق هؤلاء الشركاء الذين عبدهم الكفار ، وفسر البيضاوي (الجن) بالملائكة ، فقال (وجعلوا لله شركاء الجن) أي الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم سبحانه في الآية جناً لاجتنانهم تحقيراً لشأنهم أو المراد بهم الشياطين لأن الكفار أطاعوهم كما يطاع الله ... ثم يقول وقوله (وخلقهم) حال بتقدير قد وخلقهم عطفا على الجن أي ويخلقونه من الأصنام أو على شركاء أي جعلوا اختلاقهم للإفك حيث نسبوه إليه [١] .

فالقراءة الشاذة تؤدي نفس المعنى الذي ذهب إليه المفسرون في تفسيرهم للآية ولا تعارض بين القراءتين .

ثالثا : قوله تعالى ﴿ أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ﴾ العاديات / ٩ .

القراءة الشهورة (بُعْثِر) بالعين وقرأ ابن مسعود (بُحْثِر) بالحاء ، والمعنى على القراءة الصحيحة أفلا يعلم ابن آدم (إذا بعثر) أي أثير وقلب وبحث (ما في القبور) فأخرج ما فيها ، قال أبو عبيده : بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه ، وقال محمد بن كعب القرظي : ذلك حين يبعثون ، وقال الفراء : سمعت بعض أعراب بني أسد يقرأ (بحثر) بالحاء بدل العين وحكاه الماوردي عن ابن مسعود وهما بمعنى واحد [٢] .

وفي القاموس (بحثره) بحثه وفرقه فتبحثر واستخرجه وكشفه وبعثر نظر وفتش وبعثر الشيء فرقه وبدده وقلب بعضه على بعض واستخرجه فكشفه وأثار ما فيه [٣] . فلفظ بحثر يحمل نفس المعنى لبعثر ولكنها لغة كما ذكر الفراء .

رابعا: قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر/١.

قرأ الجمهور (أعطيناك) بالعين ، وقرأ الحسن وطلحة وابن محيصن

---

[١] أنوار التنزيل للبيضاوي ص١٨٦ .

[٢] الجامع لاحكام القرآن جـ٢٠ ص١٦٣ وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٦

[٣] انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي جـ١ ص٣٦٩ ، ص ٣٧٥ فصل الباء باب الراء .

والزعفراني (أنطيناك) بالنون[١] وهذه القراءة مروية عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال التبريزي (أنطيناك) هي لغة للعرب العاربة من أولى قريش وهي لغة في العطاء يقال أنطيته واعطيته ومن كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أمطاك الله ذلك كله أو أعطاك ما احتسب أجمع) [٢] وقال أبو الفضل الرازي : أبدل من العين نونا ، وتعقبه صاحب البحر فقال إن عنى النون في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن وإن عنى البدل الصناعي فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا نقول الأصل العين ثم أبدلت النون منها[٣] فالقراءاتان بمعنى واحد وهما لغتان في العطاء ولا تعارض .

النوع الرابع : أن يفسر المفسر القراءة الصحيحة بالقراءة الشاذة ، ومن أمثلة ذلك .

أولا : قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ البقرة/ ١٩٨.

قراءة الجمهور كما سبق وقرأ ابن عباس وعكرمة وعمرو بن عبيد (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج) بزيادة (في مواسم الحج) .

وقراءة ابن عباس هذه فسرت المراد من الآية فقد ذكر الواحدي بسنده إلى ابن عباس قال : كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت (ليس عليكم جناح أن تتبغوا فضلا من ربكم ـ في مواسم الحج) .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الحج يقولون أيام ذكر الله فأنزل الله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فاتجروا وذكر بسنده أيضا عن أبى إمامة التميمي ، قال : سألت ابن عمر فقلت : إنا قوم ذوو كرى في هذا الوجه ، وإن قوما يزعمون أنه لا حج لنا قال : ألستم

---

[١] مختصر ابن خالويه ص ١٨١ .

[٢] مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ١٣٣ .

[٣] البحر المحيط لأبى حيان جـ٨ ص٥١٩ وانظر تفسير القرطبي جـ٢ ص٢١٦ .

تلبون ؟ ألستم تطوفون بين الصفا والمروة ؟ ألستم ؟ ألستم ، قال بلى ، قال : إن رجلا سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فدعاه فتلا عليه الآية حين نزلت فقال : أنتم الحجاج [١] .

وذكر الزمخشري في تفسير الآية أن أناساً من العرب كانوا يتأثمون أن يتجروا أيام الحج ، وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة (الداج) ويقولون هؤلاء الداج وليس بالحجاج ، وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم وكانت معايشهم منها ، وإنما يباح مالم يشغل عن العبادة[٢]

وكذلك حذا القرطبي حذو الزمخشري في تفسيره للآية فقال بعد أن ذكر سبب نزول الآية فنزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ـ في مواسم الحج ـ وذلك في إشارة إلى قراءة ابن عباس [٣] . وذهب أبو حيان إلى أنها قراءة ابن مسعود وابن الزبير مما سبق نرى أن القراءة الشاذة فسرت القراءة الصحيحة وبيّنت المراد منها ولذلك نجد جل المفسرين فسروا الآية بها .

وهذه القراءة عن ابن عباس كانت موضع نظر من المفسرين فذهب البعض إلى أنها تفسير منه للآية وجنح آخرون إلى أنها من القرآن المنسوخ بالعرضة الأخيرة للقرآن وممن ذهب إلى الأول السيوطي في الإتقان حيث ذكرها تحت القسم الذي أسماه ما يشبه المدرج من الحديث كما بينا في المباحث السابقة . والحقيقة إنه لا يوجد دليل قاطع يرجح أحد القولين على الآخر ولذلك لا نستطيع القطع بأحدهما والله أعلم [٤] .

ثانيا : قوله تعالى ﴿ ولَمَّا سكَتَ عن مُوسى الغَضبُ أَخَذَ الأَلْواح وفِي نُسْختها

---

[١] أسباب النزول للواحدي ص٣٣ وانظر مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص ١٥٥ ، والدر المنثور للسيوطي جـ ١ ص ٢٢٢ .

[٢] الكشاف جـ١ ص ٣٧٤ .

[٣] الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص ٤١٣ .

[٤] البحر المحيط لأبي حيان جـ١ ص٢٢٥ ، وانظر ابن كثير جـ١ ص٢٤٠ ، ٢٤١ ، وتفسير الطبري جـ٤ ص١٦٣ .

هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ الأعراف/١٥٤

القراءة المشهورة (سكت) بالتاء وقرأ معاوية بن قرة (سكن) بالنون .

والقراءتان بمعنى واحد وقد قال القرطبي في تفسيره للآية (ولما سكت عن موسى الغضب) أي سكن والسكون الإمساك ، يقال جرى الوادي ثلاثا ثم سكن أي أمسك عن الجري ، وقال عكرمة المراد : سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كقولك أدخلت الأصبع في الخاتم وأدخلت الخاتم في الأصبع [١] .

وقال البيضاوي (ولما سكت (أي سكن وقد قرئ به[٢] .

النوع الخامس : أن تكون القراءة المشهورة مبهمة المعنى ويأتي تعيينها في القراءة الشاذة فيذكرها المفسر ويرجح بينهما . ومثاله :

قوله تعالى ﴿ حافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ البقرة/ ٢٣٨ .

القراءة المشهورة هكذا مبهمة بدون تعيين للمراد من الصلاة الوسطى وقرأت السيده عائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)[٣]

وروى وابن جرير[٤] أن حفصه ـ رضى الله عنها ـ قالت لأبي رافع مولاها وقد أمرته أن يكتب لها مصحفا إذا أتيت على هذه الآية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فتعالى حتى أمليها عليك فلما بلغ ذلك أمرته أن يكتب (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر) [٥] .

وروى مثله عن السيدة عائشة [٦]ـ رضى الله عنها ـ وهنا نرى وجود

---

[١] الجامع لأحكام القرآن جـ٧ ص٢٩٦ .

[٢] أنوار التنزيل ص ٢٢٥ .

[٣] مختصر ابن خالويه ص ١٥ .

[٤] انظر تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٣٤٩ .

[٥] انظر فتح القدير للشوكاني جـ١ ص٣٢١ .

[٦] صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٥ ص ١٣٠ كتاب المساجد باب دليل من قال " الصلاة الوسطى صلاة العصر " .

أكثر من قراءة في الآية الكريمة بعضها عينها بصلاة العصر وبعضها بغيرها والقراءة المشهورة مبهمة ومن هنا اختلفت آراء العلماء من المراد من الصلاة الوسطى على ثمانية عشر قولا ، أرجحها ما ذهب إليه الجمهور من أنها العصر ، وذلك لما ثبت في البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا نرها الفجر حتى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول الأحزاب (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراً) [1] وقد تعددت طرق هذا الحديث ومصادره فقد ذكره الكثير من المحدثين بأسانيد مختلفة وهي تتراوح بين الصحة والحسن والضعف ، وورد في تعيين أنها صلاة العصر من غير ذكر يوم الأحزاب أحاديث مرفوعة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما ورد عن الصحابة أثار كثيرة توضح أنها صلاة العصر ، يقول الشوكاني وفي الثابت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لا يحتاج معه إلى غيره ، وأما ما روى عن على بن أبي طالب وعبد الله بن عباس أنهما قالا أنها صلاة الصبح كما أخرجه مالك في الموطأ عنها فكل ذلك من أقوالهم وليس فيها شيء من المرفوع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تقوم بمثل دلك حجة لاسيما إذا عارض ما ثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثبوتاً يمكن أن يدعي فيه التواتر وإذا لم تقم الحجة بأقوال الصحابة لم تقم بأقوال من بعدهم من التابعين وتابعيهم بالأولى . وهكذا لا تقوم الحجة بما ورد عن ابن عباس أنه قال : صلاة الوسطى : صلاة المغرب وهكذا لا اعتبار بما ورد من قول جماعة من الصحابة أنها الظهر أو غيرها من الصلوات ، ولكن المحتاج إلى إمعان نظر وفكر ما ورد مرفوعا إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما فيه دلالة على أنها الظهر كما أخرجه ابن جرير[2] عن زيد بن ثابت مرفوعا (إن الصلاة الوسطى صلاة

---

[1] انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٨ ص٤٣ كتاب التفسير باب تفسير سورة البقرة ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ٥ ص١٢٧ ، وما بعدها كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب دليل من قال الصلاة الوسطى صلاة العصر .

[2] تفسير الطبري جـ ٢ ص ٢٠٧ وانظر الترمذي جـ ١ ص ٢٢٣ كتاب الصلاة وقال حسن صحيح .

الظهر) والصحيح أن حديث زيد موقوف عليه وليس مرفوعاً إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الرغم من استدلال الطبري على ذلك بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصلي بالهاجرة وكانت أثقل الصلاة على أصحابه ، وأين يقع هذا الاستدلال من تلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا حجة في قول أحد مع ما ثبت عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤكد أن المراد بالصلاة الوسطى (صلاة العصر) ما أخرجه مسلم [١] عن البراء بن عازب قال: نزلت (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما شاء الله ثم نسخها فأنزل (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) فقيل له هي إذن صلاة العصر ؟ قال : قد حدثتك كيف أنزلت وكيف نسخها الله ، وإذا تقرر هذا وعرفت ما سقناه تبين لك أنه لم يرد ما يعارض أن الصلاة الوسطى (صلاة العصر) ، وأما حجج بقية الأقوال فليس فيها شيء مما ينبغي الاشتغال به لأنه لم يثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذلك شيء وبعض القائلين عول على امر لا يعول عليه فقال : إنها صلاة كذا ، لأنها وسطى بالنسبة إلى ما قبلها من الصلوات وهذا الرأي المحض والتخمين البحت لا ينبغي أن تستند إليه الأحكام الشرعية على فرض عدم وجود ما يعارضه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف مع وجود ما هو في أعلى درجات الصحة والقوة والثبوت عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم[٢] .

وقد ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني كلاماً نفيساً في هذا المقام سنورده إتماما للفائدة قال (اختلف العلماء في المراد بالصلاة الوسطى والراجح أنها العصر وقد روى أحمد والترمذي[٣] من حديث سمره يرفعه قال (صلاة الوسطى صلاة

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٥ ص ١٣١ كتاب المساجد .

[٢] فتح القدير للشوكاني جـ١ ص٣٢٠ وما بعدها بإيجاز وتصرف .

[٣] انظر صحيح الترمذي جـ ١ ص ٢٢٣ وقال حديث صحيح وانظر مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ١٢ ، ١٣ والدر المنثور جـ ١ ص ٣٠٢.

العصر) وروى ابن جرير[١] من طريق كهيل بن حرمله سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال : اختلفنا فيها ونحن بفناء بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفينا أبو هاشم بن عتبه فقال: أنا أعلم لكم فقال فاستأذن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم خرج الينا فقال : أخبرنا أنها صلاة العصر ، وروى ابن جرير من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال : كان في مصحف عائشة ـ رضي الله عنها ـ (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر) .. ثم يقول أما قول القرطبي أنها أبهمت بعدما عينت وترجيحه أنها مبهمة لتعارض الأدلة وعسر الترجيح غير مسلم به لأنه لا تعارض مع ثبوت أحاديث صحيحه مرفوعة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تثبت أنها العصر ... وأما من استدل بقراءة حفصة وعائشة وأم سلمة ـ بأنهن قرئن (وصلاة العصر) وتمسكهم بأن الواو تقتضي المغايره وهذا يعني أن الصلاة الوسطى غير صلاة العصر ، فهذا يرد بأمرين الأول : أن الواو قد تكون زائدة في بعض الأحيان ، فليس العطف دائماً صريحا في اقتضاء المغايرة لوروده في نسق الصفات كقوله تعالى (الأول والآخر والظاهر والباطن) الحديد/ ٢٠ .

الثاني : أن هذه الرواية معارضة برواية عروة والتي ذكر فيها أنه كان في مصحف عائشة (وهي العصر) ويؤيد ما رواه أبو عبيدة بإسناد صحيح عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤها (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر) بغير واو فترجح كونها صلاة العصر) [٢] .

وقد ذكر النووي إجماع الفقهاء على أن المراد بالصلاة الوسطى (صلاة العصر) ويورد رأي الشافعي القائل بأنها الصبح ويعلق عليه بقوله وقد قاله قبل علمه بالأحاديث الثابتة التي تبين أنها العصر [٣] .

---

[١] تفسير الطبري جـ ٢ ص٣٤٦ .

[٢] فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٨ ص٤٣ : ٤٦ بإيجاز .

[٣] انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ٥ ص١٧٧ وما بعدها .

النوع السادس : وفيه تتعدد القراءات ويحاول المفسر الجمع بينها ليستعين بها على تفسير الآية . ومن أمثلة ذلك :

أولا قوله تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبدنِكَ لِتَكُون لِمنْ خَلْفَك آيةْ وإنّ كَثِيراً مِّنَ النّاس عنْ آياتنَا لَغَافلُون﴾ يونس/٩٢ .

قرأ اليزيدي وابن السميفع وإسماعيل المكي (فاليوم ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) بالحاء والفاء المشددتين وقرأ ابن مسعود (بندائك) بدلاً من (ببدنك)

والمعنى على القراءة الصحيحة : اليوم نخرجك عما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنوا إسرائيل ، وذلك أن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون غرق ، وقالوا هو أعظم شأنا من ذلك فألقاه الله على نجوة من الأرض أي مكانا مرتفعا من البحر حتى شاهدوه . أما قراءة (ننحيك) فهو من التنحية أي تكون على ناحية من البحر أو نلقيك بناحية الساحل ، قال ابن جريج فرمى به على ساحل البحر حتى رآه بنوا إسرائيل .

وقراءة عبد الله بن مسعود (بندائك) بدلاً من (ببدنك) وقد حكاها عنه علقمة فهي من النداء وهو قوله ﴿آمنتُ أنّهُ لاَ إلَه إلاّ الّذِي آمنَتْ بِهِ بَنُو إسْرائِيل وأنَا من المُسْلِمين ﴾ يونس / ٩١ أي ننحيك بسبب هذا النداء الواقع منك . يقول القرطبي وقد ذهب أبو بكر الأنباري : أن قراءة عبد الله السابقة (بندائك) ليس فيها مخالفة لهجاء مصحفنا إذ سبيله أن يكتب بياء وكاف بعد الدال لأن الألف تسقط من ندائك في ترتيب خط المصحف ، كما سقطت من الظلمات والسماوات فإذا وقع بها الحذف استوى هجاء بدنك وندائك ، ولكن هذه القراءة مرغوب عنها لشذوذها وخلافها ما عليه عامة المسلمين ، والقراءة سنة متبعة يأخذها آخر عن أول وفي معناها نقص عن تأويل قراءتنا ، إذ ليس فيها للدرع ذكر والذي تتابعت عليه الآثار أن بني إسرائيل اختلفوا في غرق فرعون وسألوا الله أن يريهم إياه غريقاً فألقاه على نجوة من الأرض ببدنه وهو درعه التي يلبسها في الحرب ، قال أبو بكر : إن بني إسرائيل ضرعوا إلى الله يسألونه مشاهدة فرعون غريقاً فأبرزه لهم فرأوا جسدا لا

روح فيه ، فلما رأته بنوا إسرائيل قالوا : نعم يا موسى هذا فرعون قد غرق ، فخرج الشك من قلوبهم وابتلع البحر فرعون كما كان .

والذي أميل إليه أن القراءة الشاذة (بندائك) يرجع معناها إلى معنى القراءة الصحيحة لأن النداء يفسر هنا بتفسيرين :

أحدهما : نلقيك على موضع مرتفع بصياحك بكلمة التوبة بعد أن أغلق بابها ومضى وقت قبولها .

وثانيهما : اليوم نعز لك عن غامض البحر بندائك لما قلت ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ النازعات / ٢٤ فكانت تنجيته بالبدن معاقبة من رب العالمين له على ما فرط من كفره[١].

وقوله (لتكون لمن خلفك آية) أي لتكون علامة لمن وراءك وهم بنوا إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما ذكرنا فكان القاؤه على نجوة من الأرض ليكون آية وعلامة لمن بقى من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ، وقراءة (لمن خلقك) بفتح اللام معناه أي لتكون علامة لمن بقى بعدك يخلفك في أرضك والمراد الملك القادم الذي سيلي أمر مصر بعدك .

وأما قراءة علي بن أبى طالب (لتكون لمن خلقك آية) بالقاف بدل الفاء فمعناها أن تكون آية لخالقك كسائر الآيات ، فإن إفراده إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته وهذا الوجه أيضاً محتمل على القراءة المشهورة[٢]

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاس جميعاً .... ﴾ الرعد / ٣١ .

قراءة الجماعة (أفلم ييأس) وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس (أفلم يتبين الذين آمنوا) وقال ابن عباس : إنما كتبها الكاتب (ييأس) وهو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٨ ص٣٧٩ : ٣٨١ بإيجاز وتصرف .

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ص٢٨٧ تصرف يسير .

ناعس. وتفسير القراءة الصحيحة : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان الكفار مع ما رأوا من أحوالهم وعلى هذا يحمل اليأس على معناه الحقيقي وهو القنوط من حالهم وقال الفراء فيما نقله عن الكلبي قال (ييأس) يعلم وهي لغة النخع وحكاه القشيري عن ابن عباس قال أفلم يعلم .

وقال أبو عبيدة : أفلم يعلموا ويتبينوا وأنشد لمالك ابن عوف النضري .

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ∴ ألم تيأسوا إني ابن فارس زهدم

والمعني على هذا : أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من غير أن يشاهدوا الآيات .

وقيل هو اليأس المعروف أي أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم ، لأن المؤمنين تمنوا نزول الآيات طمعاً في إيمان الكفار [١] .

أما ما نسب إلى ابن عباس من أنه قال (أظن الكاتب كتبها وهو ناعس ، فإن هذا لم يصح عن ابن عباس قال أبو حيان : بل هو قول ملحد زنديق وقال الزمخشري ونحن ممن لا يصدق هذا في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكيف يخفى هذا ؟ حتى يبقى ثابتاً بين دفتي المصحف الإمام ، وكان متقلباً بين أيدي أولئك الأعلام ، المحتاطين لدين الله المهيمنين عليه ، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي أقيم عليها البناء ؟ هذا والله فرية ، ما فيها مرية)[٢].

وذكر أبو بكر الأنباري : أن مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو بن علاء ، ثم إن معنى (أفلم ييأس) وهو لغة هوازن معناه أفلم يتبين فإن كان مراد الله تحت اللفظة التي خالفوا بها الإجماع فقراءتنا تقع عليها وتأتي بتأويلها وإن أراد المعنى الآخر الذي اليأس

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٩ ص٣١٩ ، ٣٢٠ بتصرف .

[٢] انظر البحر المحيط لابي حيان جـ٥ ص٢٩٧ ، والكشاف جـ٢ ص٣٦١ ٣٦٢ .

فيه ليس المراد به العلم فقد سقطوا عما أرادوا لأن سقوط القراءة الصحيحة يبطل القرآن ويلزم أصحابه البهتان [١] .

ويؤكد أبو شهبه بطلان هذه الرواية فيقول ما ملخصه (قد ثبت أن ابن عباس أخذ القرآن عن زيد بن ثابت ، وزيد كاتب الوحي وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد عثمان فغير معقول أن يقرأ ابن عباس على خلاف قراءة زيد بن ثابت وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس أنه سأله عن قوله تعالى " أفلم ييأس الذين أمنوا " فقال ابن عباس : أفلم يعلم بلغة بني مالك وقال نافع وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت مالك ابن نافع يقول :

لقد يأس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

فلو كانت غير ثابتة لما فسرها ولما استشهد بكلام العرب[٢] .

ولذلك قال ابن قتيبة (يئست) بمعنى علمت في قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لأن في علمك الشيء وتيقنك له يأسك من غيره[٣] .

ثالثا : قوله تعالى : ﴿ وأَصْحابُ اليَمِينِ ما أَصْحَابُ اليَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴾ الواقعة / ٢٧ : ٢٩ .

قراءة الجمهور (وطلح منضود) وقرأ علي بن أبي طالب (وطلع منضود) بالعين بدل الحاء ثم قال تعالى ﴿ونَخْلٍ طَلْعُها هضِيمٌ ﴾ الشعراء / ١٤٨ ، وهو خلاف قراءة المصحف ، وفي رواية أنه قرئ بين يديه (وطلح منضود) فقال: ما شأن الطلح ؟ إنما هو (وطلع منضود) ثم قرأ ﴿ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ ق/١٠، فقيل له : أفلا نحولها ؟ فقال : لا ينبغي أن يهاج في القرآن ولا يحول .

قال ابن كثير : قال الجوهري : الطلح لغة في الطلع ، وقد روى عن علي

---

[١] أنوار التنزيل للبيضاوي ص٣٣٢ ، الجامع لأحكام القرآن جـ٩ ص٣٢٠ بتصرف .

[٢] المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبه ص ٣٣٠ .

[٣] تأويل مشكل القرآن ص١٩٢ .

أنه قال : هذا الحرف في طلح منضود قال : طلع منضود ، فعلى هذا يكون من صفة السدر فكأنه وصفه بأنه مخضود أي خضد شوكه وأن طلعه منضود أي ثمره كثيرة والطلح هو الموز على لغة أهل اليمن[١] .

وقد ذكر ابن الأنباري : بسنده عن سعد عن قيس بن عباد : قال : قرأت عند علي (وطلح منضود) فقال على : ما بال الطلح ؟ أما تقرأ (وطلع) ثم قال (ولها طلع نضيد) فقال له يا أمير المؤمنين : أنحكها من المصحف ؟ فقال : لا يهاج القرآن اليوم . ثم قال : ومعنى هذا أنه رجح إلى ما في المصحف ، وعلم أنه هو الصواب وأبطل الذي كان فرط من قوله [٢] .

وللفخر الرازي كلام حسن في تفسير الآية نذكره إتماماً للفائدة حيث قال بعد ذكره للروايات السابقة عن علي وموقفه منها (وهذا دليل معجزة القرآن وغزارة علم عَلِيّ ـ رضيَ الله عنه ـ أما المعجزة فلأن علياً كان من فصحاء العرب ولما سمع هذا حمله على الطلع واستمر عليه ، وما كان قد اتفق حرفه لمبادرة ذهنه إلى معنى ، ثم قال في نفسه : إن هذا الكلام في غاية الحسن ، لأنه تعالى ذكر الشجر المقصود منه الورق للاستظلال به ، والشجر المقصود منه الثمر للاستغلال به فذكر النوعين ثم أنه لما اطلع على حقيقة اللفظ علم أن الطلح في هذا الموضع أولى وهو أفصح من الكلام الذي ظنه في غاية الفصاحة ، فقال : المصحف بين لي أنه خبر مما كان في ظني فالمصحف لا يحول ، والذي يؤيد هذا أنه لو كان طلع لكان قوله تعالى ﴿وفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ الواقعة / ٣٢ ، تكرار أحرف من غير فائدة[٣] .

النوع السابع : أن يذكر المفسر القراءة ولا يعلق عليها ، وهذا كثير في تفسير القرآن نجتزئ منه بذكر بعض الأمثلة .

---

[١] تفسير القرآن العظيم ج٤ص٢٨٩،وانظر الكشاف جـ٤ ص٥٤ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن جـ١٧ ص٢٠٨ ، ٢٠٩ بإيجاز .

[٣] التفسير الكبير للفخر الرازي جـ٣٠ ص١٦٤ بإيجاز .

أولا : قوله تعالى ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ...الآية ﴾ البقرة/٢٠ .

قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب (كلما أضاء لهم مروا فيه ــ مضوا فيه ــ سعوا فيه) وهذه القراءة ذكرها جماعة من المفسرين ولم يعلقوا عليها [١] .

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ محمد / ٣٧ .

قرأ ابن عباس وابن سيرين وأيوب بن المتوكل (وتخرج أضغانكم) بالتاء بدل الياء وهذه القراءة ذكرت في بعض كتب التفسير ولم يعلق عليها [٢] .

ثالثا : قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴾ المرسلات/١٦،١٧ .

قرأ ابن مسعود (ثم سنتبعهم) وهذه القراءة ذكرت في كتب التفسير ولم يعلق عليها [٣] .

رابعا : قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ الهمزة /١

قرأ ابن مسعود وأبو وائل والنخعي والأعمش (ويل للهمزة اللمزة) هذه القراءة ذكرها القرطبي ولم يعلق عليها[٤].

---

[١] انظر المحرر الوجيز جـ١ ص١٨٨ ومناهل العرفان جـ١ ص١٥١ ومختصر في شواذ القرآن ص٣ .

[٢] الكشاف للزمخشري جـ٣ ص٥٣٩

[٣] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٩ ص١٥٩ .

[٤] الجامع لأحكام القرآن جـ٢٠ ص١٨٢ .

المبحث الخامس

حقائق بارزة تتعلق بالقراءات الشاذة

بعد تلك الدراسة الموجزة لموضوع القراءات الشاذة وأثرها في التفسير نخلص إلي مجموعة من الحقائق تتعلق بتلك القراءات وهي :

أولا : أن القراءات الشاذة الواردة في كتب التفسير أقسام ثلاثة :

أولها : هناك قراءات توافق رسم المصحف العثماني لكونه غير منقوط ولا مشكول ، وهذا هو الأعم الأغلب في القراءات الواردة صحيحها وشاذها ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وعلَّمَ آدمَ الأسْماءَ كُلَّها ﴾ البقرة / ٣١ فقد قرأها الحسن (وعُلِّم) علي ما لم يسم فاعله ، وعلى الرغم من موافقة تلك القراءة لرسم المصحف إلا أن العلماء حكموا بشذوذها لضعف سندها ، ولأن القراءة سنة متبعة ، وقد ورد في الصحيح ما يثبت أن المعلم لآدم هو الله تعالى فقد روى البخاري بسنده إلي النبي ﷺ قال (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلي ربنا فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ .. الحديث) [١] ، وفي الحديث دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفا ، وأن الله تعالى هو الذي علمها لآدم عليه السلام جملة وتفصيلا فالباري هو المعلم مباشرة بدون واسطة ولا إلهام[٢] .

ثانيها : هناك قراءات تخالف رسم المصحف ولكنها توافقه في المعنى مثل ما جاء في قوله تعالى ﴿ ويَفْرحُونَ بما أتَوْا﴾ آل عمران / ١٨٨ .. فقد قرأها أبي بن كعب (ويفرحون بما فعلوا) فهذه القراءة وإن كانت مخالفة لرسم المصحف إلا

---

[١] انظر : صحيح البخاري بحاشية السندى كتاب الدعوات باب صفة الجنة جـ ٤ ص ١٣٨ .

[٢] البحر المحيط لأبي حيان جـ ١ ص ١٤٥ .

أنها تحمل نفس معنى القراءة الصحيحة ولذلك نجد الشوكاني يقول في تفسير الآيـة (ويفرحون بما أتوا) أي ما فعلوا فمن فرح بما فعل وأحب أن يحمد الناس بما لـم يفعل فلا تحسبنه بمفازة أي بنجاة من العذاب[١] .

ثالثها : هناك قراءات فيها زيادة على اللفظ الموجود في المصحف العثماني ولذلك عدها العلماء من قبيل التفسير مثل قولـه تعالى ﴿ يتساءلون عن المُجْـرمين ما سلَكَكُمْ في سقر﴾ المدثر/ ٤٢ فقد قرأها عبدالله بن الزبير (يا فلان ما سلكك في سقر وهي قراءة على التفسير وليس من القرآن كما زعم من طعن في القرآن ، وقد قال الكلبي فيسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه فيقول لـه : يـا فلان ما سلكك في سقر [٢] .

ومثاله أيضا ما جاء في قوله﴿ لَمْ يكُنِ الّذين كَفَـرُوا مِـنْ أهْـلِ الكِتَـابِ والْمُشْرِكين منفَكّين حتّى تَأْتِيهُمُ البيّنَةُ ﴾ البينة / ١ .

يقول القرطبي : كذا قراءة العامة وخط المصحف وقرأ ابن مسعود(لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين) وهذه قراءة على التفسير وقال عنها ابن العربـي (وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة ، ومثليا ما ورد عن النبي[٣] ﷺ في رواية الصحيح (فطلقوهن في قبل عدتهن) وهو تفسير ، فإن التلاوة هو ما كان في خط المصحف) [٤] .

ثانيا : أن هذه القراءات بمختلف أنواعها لعبت دوراً مهما في تفسير القرآن وحملت إضافات حقيقية للتفسيرات الواردة في الآيات ونظرة ثاقبة إلى كتب التفسير عموما وكتب التفسير بالمأثور خاصة يجد أثر تلك القراءات واضحا فيها وفي هـذا أكبـر

---

[١] فتح القدير للشوكاني جـ ٢ ص ٥٥١ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن جـ ١٩ ص ٨٧ .

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ٢٥٠ كتاب التفسير وقد يعلق عليه الذهبي .

[٤] الجامع لأحكام القرآن جـ ٢٠ ص ١٤٠ .

دليل على إعجاز القرآن ، لأنه على الرغم من كون هذه القراءات تعد قرآنا منسوخا إلا أنها حملت البيان والإيضاح للقراءة المشهورة ولو كانت تلك القراءات هي محض اجتهاد من الصحابة لوجد الاختلاف والتناقض ، ولذا قال جل شأنه ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾النساء/٨٢ .

ثالثا : أن هناك قراءات اندرجت تحت ما يسمى بالموضوع أي المختلق المكذوب على الرسول ﷺ وعلى الرغم من ذلك فقد وجهها العلماء لما فيها من دلالات لغوية مثل ما نسبه محمد بن جعفر الخزاعي إلي الإمام أبي حنفية من أنه قرأ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر / ٢٨. حيث قرأها برفع لفظ الجلالة وفتح الهمزة من العلماء ، فقد أول العلماء الخشية على هذه القراءة بالإجلال والتعظيم وليس الخوف.[١]

ومثل ما ورد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ورسوله﴾ التوبة / ٣ . فقد قرأها الحسن (ورسوله) بالنصب وتوجيهه أنه معطوف على لفظ الجلالة وقرئ (ورسوله) بالخفض على القسم أي وحق رسوله ، وقد ذهب بعض العلماء إلي أن اللحن في هذه القراءة هو السبب في شكل المصحف فقد روى القرطبي عن ابن أبي مليكة قال : قدم أعرابي في زمن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فقال من يقرئني ما أنزل على محمد ﷺ ؟ قال : فأقرأه رجل(براءة) فقال (إن الله برئ من المشركين رسوله) بالجر فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ، فإن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال : يا أعرابي : أتبرأ من رسول الله ﷺ فقال : يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ، فأقرأني هذا سورة (براءة) فقال (إن الله برئ من المشركين ورسوله) فقلت : أو قد برئ الله من رسوله ،

---

[١] البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ١ ص ٣٤١ .

إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ مما برئ الله ورسوله منه ، فقال عمر ليس هكذا ، قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ قال (إن الله برئ من المشركين ورسوله) فقال الأعرابي :.وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه ، فأمر عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود بوضع قواعد علم النحو[١] وقيل أن أول من أمر بذلك علي ابن أبي طالب .

رابعا : أن هذه القراءات الشاذة لها العديد من الفوائد منها:

١ــ بيان حكم شرعي مجمع عليه مثل قراءة (سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت) النساء / ١٢ بزيادة لفظ (من أم) فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالأخوة هنا هم الأخوة لأم وليسوا الأشقاء وهذا أمر مجمع عليه [٢] .

يقول القرطبي : فأما هذه الآية فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عني بها الإخوة للأم لقوله تعالى ﴿ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ النساء/١٢ ، ولا خلاف بين أهل العلم أن الأخوة الأشقاء ليس ميراثهم كهذا[٣].

٢ــ ترجيح لحكم اختلف فيه كقراءة ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ المائدة/٨٩ بزيادة لفظ (مؤمنة) في كفارة اليمين ، فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي ولم يشترطه أبو حنيفة الذي أخذ الآية بإطلاقها فقال تجزئ الكافرة كما تجزئ المؤمنة ، أما الشافعي وغيره فقد ذهبوا إلي اشتراط كونها مؤمنة[٤] .

٣ــ إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة (فامضوا إلي ذكر الله) فقد بينت المراد من القراءة الصحيحة ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة / ٩ ، حيث وضحت

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١ ص ٢٤ .

[٢] في رحاب القرآن د/ محمد سالم محيسن ص ٢٢٧ .

[٣] الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ ص ٧٨ .

[٤] تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٩١ .

أن المراد ليس المشي السريع كما يفهم من القراءة المشهورة وإنما المراد المشي بتؤدة وتواضع وهذا ما بينته القراءة الشاذة [١] .

٤ـ تفسير ما غمض من المعاني مثل قراءة (كالصوف المنقوش) فكملة الصوف فسرت المراد من العهن في قراءة الجماعة﴿ كَالْعِهْنِ المنفُوش ﴾ القارعة/٥ إلي غير ذلك من الفوائد الجليلة [٢] .

خامسا : أن المكتوب في المصاحف العثمانية هو المحفوظ من الله تعالى للعباد وهو الإمام للأمة ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلي ما هو خارج الرسم ، فأما القراءة باللغات المختلفة مما يوافق الخط والكتاب فالفسحة فيها باقية مثل (ملك) ، (مالك)[٣] و(الصراط) و (السراط) [٤] ، (يطهرن) ، (يطهرن) [٥] وغير ذلك بشرط ثبوتها وصحتها بنقل العدول عن الرسول ﷺ وعلى ما قرأ به القراء المعرفون بالنقل الصحيح عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقد ذهب العلماء إلي أن القراءات العشر هي الموافقة لخط المصاحف العثمانية والتي وجهها عثمان إلي الأمصار وأجمع عليها الصحابة وعلى طرح كل ما خالفها ، فلا تخرج قراءة من القراءات العشر عن جميع المصاحف المذكورة فلو خالفت قراءة منها مصحفا من المصاحف وافقت غيره فالمعتبر عدم مخالفتها لجميع المصاحف [٦].

سادسا : أن المصاحف التي بين أيدينا قد بلغت الغاية في الفصاحة والبلاغة لأنها هي التي استقرت في العرضة الأخيرة فتعد أفصح اللغات وأصلحها لأداء المعنى ولذلك نستطيع القول أن القراءة الصحيحة تحمل ما في القراءة الشاذة من معنى

---

[١] انظر في رحاب القرآن د/ صبيحي ص ٢٢٧ .

[٢] مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ ص ١٣٢ .

[٣] حجة القراءات لابن زنجلة تحقيق سعيد الأفغاني ص ٧٧ .

[٤] المرجع السابق ص ٨٠ .

[٥] المرجع السابق ص ١٣٥ .

[٦] [illegible] والعلوم الإسلامية د/ شعبان محمد إسماعيل .

وتزيد ، وبها نستطيع التعرف على مدى ما وصل إليه القرآن من إعجاز ولنضرب مثالا على ذلك في لفظة واحدة جاءت في القرآن بتعبيرين مختلفين ففي سورة القارعة قال تعالى ﴿ وَتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ المَنفُوشِ ﴾ والمراد به الصوف ، وفي سورة النحل عبر سبحانه بلفظ الصوف ولكن على صيغة الجمع ، وذلك في قوله ﴿ومِنْ أصْوافِها وأوْبارِها وأشْعارِها ﴾ الآية ٨٠ .

وذلك لأن لفظ الصوف يكون أفصح إذا استعمل مجموعا، واقل فصاحة إذا كان مفردا ، لذلك استقرت القراءة في المصاحف على لفظ (العهن) دون الصوف وهذا غاية الفصاحة وقمة البلاغة القرآنية . [١]

وأخيراً نقول إن هذا القرآن الذي بين أيدينا قد نزل بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب في خصائصها العجيبة وأنه المعجزة الباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها وأن تعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب الإعجاز القرآني الذي يبتدئ من جمال الإعجاز وينتهي إلي كمال الإعجاز ، وليس أدل على كون القراءات مظهراً من مظاهر الإعجاز القرآني من وجود التنوع والاختلاف في القراءات ، وهذا الاختلاف لا يؤدي إلي تناقض في المقروء وتضاد ، بل القرآن كله على تنوع قراءاته ، يصدق بعضه بعضاً ويبين بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض ، وهذا قمة الإعجاز وقد صدق وصف العلماء لهذا القرآن بأنه الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه .

ولذلك نقول إن أعداء الإسلام مهما بذلوا من محاولات لهدم هذا الدين وركنه القويم فلن يستطيعوا وسيرد الله كيدهم في نحرهم ﴿ ويَأْبَى اللَّهُ إلاَّ أن يُتِمَّ نُورهُ ولَوْ كَرِه الكَافِرُون ﴾ التوبة/٣٢ .

---

[١] المعاني في ضوء أساليب القرآن د/ عبد الفتاح لاشين ص ٥١ بتصرف ، وانظر إعجاز القرآن والسنة النبوية للرافعي ص ١١٤ بتصرف.

ثبت المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر والمراجع الأخرى .

١ــ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للبنا، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل عالم الكتب ط أولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م وطبعة مكتبة الكليات الأزهرية.

٢ــ الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ط عيسى البابي الحلبي ط رابعة سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٨٧م .

٣ــ أسباب النزول للواحدى ط دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ط ثانية سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٤ــ الإعجاز البياني للقرآن الكريم د/ عائشة عبد الرحمن ط دار المعارف ط ثانية

٥ــ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ط دار المنار .

٦ــ إعراب القراءات الشواذ للعكبرى تحقيق محمد السيد عزوز ط عالم الكتب بيروت ط أولى سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٧ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط مكتبة الجيل.

٨ ــ البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ط دار إحياء التراث العربي ــ لبنان ــ ط ثانية سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

٩ــ البرهان فى علوم القرآن للزركشي ط دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان .

١٠ــ بغية الوعاة فى طبقات اللغاة للسيوطي ط السعادة سنة ١٣٢٦هـ .

١١ــ تأريخ القرآن لإبراهيم الإبياري ط دار الكتب الإسلامية ط ثانية سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

١٢ــ تأريخ القرآن د/ عبد الصبور شاهين ط دار الكتب الإسلامية .

١٣ــ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ط دار التراث ط ثانية سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

١٤- التبيان فى علوم القرآن للصابوني ط دار عمر بن الخطاب للنشر سنة ١٣٩٠هـ

١٥- التبيان فى علوم القرآن د/ أبو ضيف مجاهد ط دار الطباعة المحمدية ط أولى -سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

١٦- التحبير فى علم التفسير للسيوطي تحقيق د/ فتحي عبد القادر فريد ط دار المنار ط أولى سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

١٧- تفسير الجلالين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ط دار التراث .

١٨- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار الفكر العربي - بيروت - لبنان - سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

٢٠- التفسير الكبير للفخر الرازي ط دار الفكر ط ثالثة سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

٢١- التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي ط مكتبة وهبه ط ثالثة سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٢٢- تفسير النسفى للإمام النسفى ط دار الكتاب العربي - لبنان.

٢٣- تقريب النشر لابن الجزرى تحقيق إبراهيم عطوه ط دار الحديث القاهرة ط ثانية سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٢٤- تهذيب الأسماء واللغات د/ محيى الدين النووي ط إدارة الطباعة المنيرية .

٢٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المالكي ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٢٦- جامع البيان عن تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى ط مصطفى الحلبي ط ثالثة سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م وطبعة دار المعرفة بيروت لبنان طبعة رابعة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٢٧- حجة القراءات لابن زنجلة تحقيق سعيد الأفغاني طبعة مؤسسة الرسالة طبعة ثالثة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٢٨ - دراسات فى علوم القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ط دار المنار ط ثانية - سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٢٩- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ط الهند - سنة ١٣٤٨هـ .

٣٠- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطي ط دار الفكر ط أولى سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م وطبعة دار المعرفة بيروت لبنان.

٣١- الديباج المذهب فى أعيان المذهب لابن فرحون ط السعادة سنة ١٣٢٩هـ .

٣٢- ذيل تفسير ابن كثير ط دار الفكر سنة ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م

٣٣- روح المعاني للآلوسي ط دار إحياء التراث العربي -بيروت - لبنان - ط رابعة سنة ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م

٣٤- سنن الترمذى للإمام الترمذى تحقيق عبد الرحمن عثمان ط دار الفكر - لبنان - سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٣٥- شبهات مزعومة حول القرآن الكريم ومردها / محمد الصادق قمحاوي ط أولى سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م .

٣٦- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي ط دار إحياء التراث - بيروت - لبنان .

٣٧- شرح السنة للإمام البغوى ط المكتب الإسلامي ط أولى سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣٨- الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٣٩- شفاء العليل لابن قيم الجوزية .

٤٠- صحيح البخاري بحاشية السندى ط دار التراث العربي القاهرة .

٤١ــ صحيح مسلم بشرح النووي ط المطبعة المصرية ومكتباتها.
٤٢ــ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى ط الحسينية ط أولى .
٤٣ــ طبقات القراء لابن علي القاري .
٤٤ــ طبقات المفسرين للداودي تحقيق علي محمد عمر ط مكتبة وهبه ط أولى - سنة ١٣٩٢م .
٤٥ــ طبقات المفسرين للسيوطي ط ليدن سنة ١٨٣٩هـ .
٤٦ــ عربية القرآن د/ عبد الصبور شاهين الناشر مكتبة الشباب.
٤٧ــ العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم بهامش وفيات الأعيان.
٤٨ــ غيث النفع فى القراءات السبع للصفاقسي تحقيق محمد عبد القادر شاهين ط دار الكتب العلمية ــ لبنان ط أولى سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
٤٩ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط دار الريان للتراث ط أولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٥٠ــ فتح القدير للشوكاني ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ط أولى - سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
٥١ــ الفهرست للنديم ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ ط أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
٥٢ــ فى رحاب القرآن د / محمد سالم محيسن الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ط أولى سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
٥٣ــ فى علوم القرآن د/ فؤاد على رضا ط دار اقرأ لبنان ط ثالثة سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٥٤ــ القاموس المحيط للفيروز أبادي ط دار الكتاب العربي .
٥٥ــ القراءات القرآنية فى علم اللغة الحديث د/ عبد الصبور شاهين ــ مكتبة الخانجي ــ مصر .

٥٦ـ الكتاب الموضح فى وجوه القراءات وعللها لابن أبى مريم ط مكتبة التراث – ط أولى سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٥٧ـ الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري ط دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٥٨ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجي خليفة ط دار العلوم الحديثة ـ بيروت ـ لبنان .

٥٩ـ لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف مصر .

٦٠ـ مادبة الله د/ الحسيني أبو فرحة ط مطبعة الفاروق الحديثة ط ثالثة سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٦١ـ المحتسب فى تبيين شواذ القراءات لابن جنى ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م

٦٢ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٦٣ـ مختصر فى شواذ القرآن لابن خالوية ط مكتبة المتنبي القاهرة .

٦٤ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم د/ محمد أو شهبه ط مكتبة السنة ط أولى – سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٦٥ـ المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية د/ شعبان عبد الرحيم إسماعيل ط دار الأنصار القاهرة ط أولى سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٦٦ـ المرشد الوجيز لأبى شامة .

٦٧ـ مروج الذهب للمسعودي تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ط دار المعرفة ـ بيروت لبنان سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

٦٨ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم .

٦٩ـ المستنير فى تخريج القراءات المتواترة د / محمد سالم محيسن ط دار الطباعة المحمدية ط أولى سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

٧٠ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ط دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ، وطبعة المكتب الإسلامي للنشر .

٧١ــ مشكلات القرآن الكريم للشيخ محمد عبده ط منشورات مكتبة الحياة ــ لبنان سنة ١٩٧٩م .

٧٢ــ المصاحف لابن أبي داود ط مطبعة الرحمانية ط أولى سنة ١٣٥٥هـ .

٧٣ــ المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم د/ عبد الفتاح لاشين ط دار الفكر العربي سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

٧٤ــ معاني الآثار للطحاوي .

٧٥ــ معجم الأدباء لياقوت الحموي ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٧٦ــ معجم القراءات القرآنية د/ أحمد مختار عمر،د / عبدالعال سالم مكرم ط عالم الكتب ط ثالثة سنة ١٩٩٧م .

٧٧ــ مقدمتان في علوم القرآن تحقيق آرثر جفري ط مكتبة الخانجي سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٧٨ــ مناهل العرفان للزرقاني ط عيسى البابي الحلبي القاهرة .

٧٩ــ من الدراسات القرآنية د/ عبد العال سالم مكرم ط عالم الكتب ط أولى سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

٨٠ــ المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق النشر د/ محمد سالم محيسن ط مكتبة الكليات الأزهرية ط ثانية سنة ١ ٣٨٩هـ / ١٩٧٨م .

٨١ ــ الموضوعات الكبرى لابن الجوزى تقديم عبد الرحمن محمد عثمان ط المكتبة السلفية ــ المدينة المنورة ــ .

٨٢ ــ النبأ العظيم د / محمد عبد الله دراز ط دار القلم ط ثالثة سنة ١٩٨٨م .

٨٣ ــ النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ط.دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

٨٤ ــ وفيات الأعيان لابن خلكان المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٩هـ .

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٣٣٢
المبحث الأول : نشأة علم القراءات	٣٣٦
المبحث الثاني : ضوابط القراءة الصحيحة	٣٥١
المبحث الثالث : القراءات الشاذة وموقف العلماء منها	٣٦٢
المبحث الرابع :المفسرون والقراءات الشاذة ..	٣٨٠
المبحث الخامس : حقائق بارزة تتعلق بالقراءات الشاذة	٤١٣
ثبت المراجع والمصادر	٤١٩
فهرست الموضوعات	٤٢٥

تم بحمد الله وتوفيقه ،،،،